معركة القادسية في شعر صدر الإسلام

د. حمدي منصور
قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الأردنية

مقدمة تاريخية

يجدر بداية أن أنبه إلى اختلاف المؤرخين في السنة التي وقعت فيها معركة القادسية، فالطبري وابن الأثير يريان أنها وقعت سنة ١٤ للهجرة[١]، أما ابن كثير فيذهب الى أبعد من هذا، فيحدد اليوم والشهر، فهي عنده وقعت يوم الإثنين من المحرم سنة ١٤هـ[٢]. ويرى آخرون أنها وقعت سنة ١٥هـ[٣]، أما ابن العماد فيحدد الشهر الذي وقعت فيه وهو شهر شوال سنة ١٥هـ[٤]، ويرى آخرون أنها وقعت سنة ١٦هـ، فهي عند صاحب "فتوح البلدان" وقعت آخر سنة ١٦هـ[٥]، وعند صاحب "معجم البلدان" أنها وقعت سنة ١٦هـ[٦]، من دون أن يحدد ما إذا كانت وقعت في أول السنة أو آخرها وكذلك يصنع صاحب "الروض المعطار"[٧] أما صاحب "العبر في خبر من غبر" فهو لا يحسم الأمر ولا يميل الى تحديد سنة بعينها فيقول: "إنها وقعت سنة ١٥ وقيل أول سنة ١٦هـ"[٨].

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في السنة التي كانت فيها المعركة، فقد اختلفوا أيضاً في عدد أيامها وترتيبها[٩]. وأياً كان الأمر فليس الغرض من هذا البحث أن يدرس المعركة تاريخياً فيحدد سنتها وترتيب أيامها، إنما الغرض أن يقدم صورة المعركة كما

شعرائها. وكما رسمها شعر صدر الإسلام بعد استقصاء هذا الشعر واستنطاقه.

ومعركة القادسية من أهم معارك الفتوح في صدر الإسلام, ومن أعظم وقعات المسلمين مع الفرس, وقد بلغ من صعوبة الموقف وخطورته أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب"[١٠] وعزم على الخروج بنفسه[١١] لملاقاة الفرس لولا أن مجلس شوراه استقر الرأي فيه على أن يبعث الخليفة رجلاً من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويبقى الخليفة في المدينة لأن بقاءه أقوى للمسلمين وأنكى للعدو، ولم ير الخليفة من يضطلع بهذا الأمر وينهد له سوى سعد بن أبي وقاص.

وكتب عمر إلى الأمراء: "لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة، ولا تدعوا رئيساً ولا ذا رأي وشرف وبسطة، ولا خطيباً ولا شاعراً إلا وجهتموه إلي"[١٢]. فرمى الفرس بوجوه الناس[١٣]. وكان في جيش سعد عدد من الصحابة وعدد من البدريين وممن شهد فتح مكة. وجمهرة من أبناء الصحابة، فقد كان في الجيش "بضعة وسبعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة"[١٤].

نذكر من هؤلاء الصفوة عبدالله بن أم مكتوم الذي كان يقاتل يومها وعليه درع له حصينة سابغة[١٥] وخالد بن عُرْفطة الصحابي الذي ولاه سعد القتال يومها[١٦] وأرطاة بن كعب الذي عقد له الرسول - صلى الله عليه وسلم - لواء، شهدها به وقتل يومها[١٧]، والصحابي حجر بن عدي[١٨] وسليمان بن شهاب[١٩] ومنهم عمرو بن عثمان بن تيم بن مرة وكان قديم الاسلام بمكة[٢٠] وسعد بن عبيد القارىء الذي

استشهد فيها[٢١] ومسروق بن الأجدع الذي شهدها وثلاثة إخوة له معه[٢٢]، وأبو القعقاع الجرمي الذي شهدها وكان غلاماً يافعاً[٢٣] والمغيرة بن شعبة وقد ذهبت عينه يومها[٢٤] وقيس بن مكشوح وكانت عينه ذهبت يوم اليرموك[٢٥] وعمرو بن معد يكرب الذي كانت عينه ذهبت أيضاً يوم اليرموك[٢٦] وجرير بن عبدالله البجلي[٢٧] وغير هؤلاء كثير يطول ذكرهم.

كما كتب الخليفة إلى أبي عبيدة بالشام بعد انتصاره في اليرموك طالباً إليه أن يصرف أهل العراق ممن جاءوا مع خالد بن الوليد "فسرح الجيش إليها - القادسية - وهم ستة آلاف وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[٢٨] الذي جعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وسيره أمامه، وجعل على إحدى مجنبتيه قيس بن هبيرة المرادي وعلى الأخرى الهزهاز بن عدي العجلي وعلى الساقة أنس بن عباس"[٢٩] فصبحوا الجيش ثاني أيام القادسية.

أما الفرس فقد ألقوا بكل ثقلهم في معركة القادسية لتكون الفاصلة في سلسلة المعارك التي سبقتها، وكان النصر فيها غالباً للمسلمين وأحياناً لهم. ومنها ذات السلاسل ووقعة المذار والولجة وأليس والأنبار وعين التمر وكان النصر فيها جميعاً للمسلمين بقيادة خالد بن الوليد إلى أن طلب الخليفة أبو بكر الصديق إليه أن ينصرف إلى الشام لنجدة المسلمين فيها مصطحباً معه نصف قوات العراق بعد أن يخلف على جيش العراق المثنى بن حارثة الشيباني الذي خاض بعض المعارك وانتصر فيها مثل يوم النمارق، إلاّ أنه هُزم هزيمة ساحقة يوم الجسر. تلك الوقعة التي خسر فيها العرب أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وقُتل فيها أبو عبيد بن مسعود الثقفي وأصيب المثنى

نفسه بجراحات بالغة ما لبث أن مات متأثراً بها، ووصل فلُ المسلمين إلى المدينة واستقبلهم الخليفة بحصافة القائد بعد أن سخر منهم الناس قائلاً: "أنا فئة كل مسلم"[٣٠] وجعل الفرس قيادة جيش القادسية لعظيم قوادهم رستم بن هرمز[٣١] الذي اتخذ من كبار القادة معاونين له، منهم: الجالينوس[٣٢] وذو الحاجب بهمن جاذويه[٣٣] والبيرزان[٣٤] والهرمزان[٣٥]، واصطحب رستم معه الفيلة[٣٦].

وأمام هذه الجيوش المحتشدة القوى الضخمة المجتمعة فشلت السفارة السياسية التي كان يبعث بها سعد استجابة لعقيدته من ناحية، وتلبية لطلب خصمه من ناحية أخرى، فاجتمعت القوتان لتصطرعا "القوى الساسانية تنتفض انتفاضة الحياة التي تأبى أن تموت والقوى العربية التي تدفع عن كيانها الناشيء ودعوتها الممتدة، وهؤلاء وهؤلاء لا يدعون سبيلاً إلاّ سلكوه ولا عدة إلاّ اعتدوا بها ولا جنداً إلا حشدوه"[٣٧]، فكانت معركة القادسية بأيامها الأربعة ولياليها الثلاث معركة فاصلة ولذاً كانت العرب من العذيب إلى عدن أبين يتربصون وقعة القادسية هذه، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها"[٣٨] وأما الفرس فلم تقم لهم بعدها قائمة[٣٩] فكانت بحق "وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها"[٤٠].

والسؤال الآن. ما هو موقف الشعر من هذه المعركة الفاصلة؟ وهل استطاع أن يصورها ويعكس صداها وهل كان الشعر بمستوى هذا الحدث الجلل؟.

المبارزة:

لمّا تصاف الجانبان بعث سعد في الشعراء والخطباء والرؤساء وخاطبهم "انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب

بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال"[٤١]، فأخذ الشعراء يمرون بين الصفوف يحرضون الجنود ويُرغّبون الناس في القتال. ولما فرغ القراء من قراءة سورة الأنفال كبّر سعد فكبر الذين يلونه وهكذا، فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج أمثالهم من أهل فارس فاعتور الطن والضرب[٤٢]، فخرج غالب بن عبدالله الأسدي للمبارزة وهو يرتجز قائلاً"[٤٣]

قد علمتْ واردةُ المسالح ذاتُ البنان واللسان الواضح
أني سُمامُ البطل المشايح وفارجُ الأمر المهمّ الفادح

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب، وكان متوجاً فأسره غالب أسراً[٤٤]، فهب الفرسان الى الميدان يطلبون المبارزة، وأسرع أهل النجدات وخرج عاصم بن عمرو التميمي وهو يرتجز، قائلاً[٤٥]:

قد علمتْ صفراءُ بيضاءُ اللبب مثلُ اللّجين اذ تغشاهُ الذهب
إني امرؤ، الأمر يعييه السبب مثلي على مثلك يغريه الكثب

وهذا الأعرف بن الأعلم العقيلي يلجأ إلى حيلة بسيطة وطريقة لبقة يخلص بها نفسه من أعدائه الذين تكالبوا عليه وأحاطوا به. فقد خرج رجل من الفرس ينادي من يبارز، فخرج إليه الأعرف وقتله ثم برز له آخر فألحقه بسابقه، فأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وندر سلاحه عنه فأخذوه. فلجأ إلى حيلته البسيطة التي تدل على سرعة بديهة وحسن تصرف، إذ غبر في وجوههم التراب وحثاهم بالرمل ورجع إلى أصحابه وهو يقول[٤٦]:

وإن يأخذوا بزي فإني مجرّبٌ خروج من الغمّاء محتضرُ النصر
وإني لحامٍ من وراء عشيرتي ركوبٌ لآثار الهوى محفل الأمر

وفي صبيحة يوم أغواث لما وصل القعقاع بن عمرو تقدم الصفوف وطلب المبارزة، وأخذ يصيح بأعلى صوته الذي قال فيه أبو بكر الصديق: "لصوت القعقاع في الحبيش خير من ألف رجل"[٤٧] من يبارز، فبرز إليه ذو الحاجب بهمن جاذويه, فصرخ القعقاع يا لثارات أبي عبيد وأصحاب يوم الجسر فقتله وهو ينشد[٤٨]:

هلمّ يا ذَا الحَاجب المَشْنوُق ... إن كنتَ ذا همٍّ بأمر الضَّيق

ألحمتهُ كاللّهب المفتوق ... فمال مَيْلَ الجمل المحنوق

مُجدلاً كالجَمل الفنيق ... يَعضُّ للموت أعالي الضيق

بمهجةٍ تأتي من العروق ... أدركت ثأر المعشر الرفيق

لقد أدرك القعقاع بقتله ذي الحاجب الذي هوى كما يهوى الفحل من الإبل، أدرك ثأره وانتقم لأصحابه الذين قُتلوا يوم الجسر ومنهم البطل أبو عبيد بن مسعود الثقفي.

ويبارز الأعور بن قطبة يوم أغواث شهريار سجستان فيقتل كلٌّ منهما صاحبه، فيفرح أخوه لمقتل العدو ويألم في الوقت نفسه لمقتل أخيه، فيقول[٤٩]:

لم أرَ يوماً كان أحلى وأمر ... من يوم أغواثٍ إذ افترَّ الثَّغر

من غيرِ ضَحْكٍ كان أسوى وأبر

وتستمر القادسية في أيامها الأربعة، وتستمر المبارزات بين الفرسان في كل يوم من أيامها، ولا يكاد ينطلق فارس لها إلاّ وهو يتغنى بالشعر ويرتجز بالقريض محرضاً نفسه مشجعاً لها، فهذا القعقاع بن عمرو يقتل بزرجمهر الهمذاني، ويصور كيف طعنه طعنة نجلاء فاضت معها نفسه في يوم أغواث، يقول[٥٠]:

حبوتـــهُ جياشـــةً بـــــالنفس هَـدارةً مثـل شـعاعِ الشـــمس
في يـــوم أغـواثَ قليـل الغَـرْس أنخـسُ بـالقوم أشـدَّ النّخـــس
حتى تفيـــظ معشـــري ونفســـي

ويتوقد حماسة وشجاعة فيحمل على القوم ثلاثين حملة يقتل في كـل منها واحداً، فيقول(٥١):

أزعجـــهم عمـــداً بـــها إزعاجـــا أطعـنُ طعنـاً صائبـــاً ثجّاجـــا
أرجـــو بـــها مـــن جنّـــةٍ أفواجـــا

ولو ذهبنا نتتبع أرجازهم وأشعارهم في المبارزات لطال بنـا الأمـر، فقلما يخرج فارس للنزال والمبارزة دون أن يرتجز الشعر(٥٢).

اشتداد القتال:

فإذا اشتد القتال وحمى وطيس الحرب، وتردد تكبير الناس عالياً أخـذ أبو محجن الثقفي الذي كان سجيناً - عند سعد بن أبي وقاص في القصـر - يرسف في قيوده وقد أحاطت الأغلال في عنقه ومعصمـــه، أخـذ يتحـرق للقتال ويتشوق للنزال، فنفث ذلك شعراً في قوله(٥٣):

كفى حزناً أن تردى الخيـــل بالقنـا وأتـــرك مشـــدوداً علـــيَّ وثاقيـــا
إذا قمتُ عنّـــاني الحديـــدُ وغُلِّقـــتْ مَصاريعُ من دوني تُصُـــمُّ المناديـــا
وقد كنـــتُ ذا مـــالٍ كثـــيرٍ وإخـــوةٍ فقد تركونـــي واحـــداً لا أخـــاً ليـــا
وقد شفَّ جسمي أنني كـــلُّ شـــارقٍ أعالجُ كبـــلاً مُصْمتـــاً قـــد بَرانيـــا
فللـــه دري يـــومَ أتـــركُ موثقـــاً وتذهـــلُ عنـــي أســـرتي ورجاليـــا
حبيساً عن الحرب العَوان وقد بـدت وإعمالُ غيري يـــوم ذاك العواليـــا
ولله عـــهدٌ لا أخيـــسُ بعـــهده لئـــن فُرجـــت ألاّ أزور الحوانيـــا
هلـــمّ ســـلاحي لا أبـــاً لـــك إننـــي أرى الحـــربَ لا تـــزدادُ إلاّ تماديـــا

إنها نفس فارس مغوار وبطل مقدام تصطرع بين جنبيه، أيبقى رهين القيد وقد شمرت الحرب عن ساقها؟ إنّ هذا أمر لا يطاق، وتسمع سلمى زوج سعد هذا الشعر فيرق قلبها له ولما ترجو من نفعه للمسلمين في هذا اليوم العصيب، فتفك قيده فينطلق وقد اعتلى صهوة البلقاء، وأخذ في قصف الفرس البغاة بسيفه قصفاً، ويصور طيرانه ورفاقه إليهم على صهوات جيادهم والسيوف القاطعة في أيديهم، والرماح المثقفة تدق صدور عدوهم، فخرس الكلام لمّا تكلم الحسام، يقول[٥٤]:

لما رأينا خيلاً مُحجّلةً ... وقومَ بَغْي في جحفلٍ لَجِبْ[٥]

طرنا إليهم بكلِّ سَلْهَبةٍ ... وكلِّ صافي الأديم كالذَّهَبِ

وكلِّ عرّاصةٍ مثقفةٍ ... فيها سنانٌ كشعلةِ اللَّهب

وكلِّ عضْبٍ في متْنِهِ مضاعفةٍ ... من نسْجِ داودَ غير مُؤْتشب

لما التقينا مات الكلامُ ودار ... الموتُ دور الرّحى على القطب

فكلنا يستليس صاحبَهُ ... عن نَفْسه والنفوسُ في كرب

إن حملوا لم نرم مواضعنا ... وإن حملنا جثوا على الرُّكب

إنهما قوتان مستبسلتان، كل منهما تحاول الثبات في وجه الأخرى، فالشاعر يرى في عدوه صبراً وقوة، وثباتاً ومنعة، ويستبسل الفارس الشاعر حتى خاله المسلمون الخضر يقاتل معهم[٥٥]، وسعد يقول: "لولا أن أبا محجن في الحبس لقلت هو، ولولا أن البلقاء في القيد لقلت هي"[٥٦]، ويعود أبو محجن لما أرخى الليل سدوله إلى قيده ليبر بعهده بعد أن أذاق الفرس الموت الزؤام، وهو يفتخر بصنيعه ويتغنى بقوله[٥٧]:

---

* السلهبية: الطويلة من الخيل. الواص: شديد الاضطراب، يصف الرمح. العضب: السيف القاطع. الفضفاضة: الواسعة.

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فخرٍ بأنا نَحْنُ أكرمهم سيوفا

وأكرمهم دروعاً سابغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وليلة قادسٍ لم يشعروا بي ولم أُشْعر بمَخْرجيَ الزُّحوفا

وأنّا رفدهم في كلِّ يومٍ فإن عتبوا فسلْ بهم عريفا

فإن أُحْبَس فذلكُمُ بلائي وإن أُترَكْ أذيقهمُ الحتوفا

الفرسان يعلمون أنفسهم:

وفي غمرة الحرب وامتداد لهيبها أخذ الفرسان يفخرون بشدة بأسهم وعظيم وطأتهم على عدوهم، فهم يذكرون أسلحتهم وأثرها في خصومهم، وأنهم يبطشون بقوة، فيلحقون القتل والفناء بالفرس، وهم يخرجون غير وجلين ولا خائفين، يعلمون أنفسهم بشارات وعلامات يعرفون بها، فهذا نُسَيْرُ بن ثور العجلي يبرز للقوم معلماً نفسه، ولا يرهب ولا يهرب، يفخر بصبره، ويصف درعه، فهي مشك سابغة كأن حلقاتها عيون الجنادب، يقول[٥٨]:

لقد عَلِمتْ بالقادسيةِ أنّني صبُور على اللأواء عفّ المكاسِب(*)

أخوضُ بسيفي غَمْرةَ الموتِ مُعْلِماً وأُقدِمُ إقدامَ امرىءٍ غير هارب

عليَّ دِلاصٌ ذاتُ شَكٍّ حصينةٍ كأن قتيريها عيونُ الجنادب

ومن الفرسان المعلمين الذين كان لهم بلاء وذكر في القادسية عروة بن زيد الخيل الطائي، الذي كان شهد معارك العرب مع الفرس قبل القادسية فما

---

* الدلاص: الدرع اللينة السهلة. التقتير: مسامير الدرع

فتت في عضده ولا أه هنت قوته، لأنه فارس مغوار، صاحب حفيظة وبسالة، يقول[٥٩]:

برزتُ لأهلِ القادسيةِ مُعلماً ... وما كلُّ من يَغْشى الكريهةَ يُعْلَمُ

ويوماً بأكناف النُّخيلة قبلها ... شهدتُ، فلم أُبْرَح أُدمى وأكلَمُ

وأيقنتُ يوم الدَّيلميين أنني ... متى يَنصرفْ وجهي إلى القوم يُهْزَموا

محافظةً أني امرؤ ذو حفيظةٍ ... إذا لم أجِدْ مستأخراً أتقدم

فهو يذكر أنه شهد اياماً مع الفرس قبل وقعة القادسية، منها يوم النخيلة ويوم الديلميين, وكان فيها جميعها بطلاً أبياً وفارساً مقداماً، لم يتأخر عن نجدة القوم وتفريج كربهم وإلحاق الهزيمة بعدوهم، فهو يقتل الفوارس من عدوه الواحد بعد الآخر، ويذيقهم كأس الردى، وأنهم تحلقوا حوله وألموا به من كل جانب، وأنه ما كان لينجو من ذلك لولا الله وهذه الثلة من الفوارس معه وبأيديهم السيوف التي ما أن تمس أطراف الأعاجم حتى تقطعها مزقاً، وما كان لعروة أن ينثني عن موقعه أو يريم عن مكانه إلاّ بعد أن اشتجرت رماحهم فيه، فمزقت ثيابه، وأثخنته بالجراحات، يقول[٦٠]:

أقْعَصْتُ منهم فارساً بعد فارسٍ ... وما كلُّ من يلقى الفوارس يسلم(*)

فما رمتُ حتّى مزّقوا برماحهم ... ثيابي وحتى بلَّ أخمصيَ الدّم

ونجاني الله الأجلُّ وجيرتي ... وسيفٌ لأطرافِ المَرازبِ مِخذم(**)

ونراه - عروة بن زيد الخيل - مرة ثانية يفخر بخروجه لقتال الفرس يوم القادسية وقد علم نفسه، وهو يزهو بذلك ويعتز، ويصبر على اللأواء في الوقت

---

* القعص: الطعن سريعاً بالرمح

**. المخزم: القاطع الذي يبين الضربة

الذي لا يصبر قرنه، ولا يثبت خصمه، فيطاعن الفرس بالرمح، ويجالدهم بالسيف، يقول[٦١]:

صبرتُ لأهلِ القادسيةِ مُعْلِماً ... ومثلي إذا لم يصبر القرنُ يصبر

فطاعنتهم بالرّمحِ حتى تبدّدوا ... وضاربتهم بالسيف حتى تكركروا

وهو في طبعه هذا يلبي وصاة أبٍ وجدّ أوصياه بالمروءة والمجد، فهم يتوارثون الرفعة والسؤدد، ويحرصون على قتال العدو وهزيمته، وهو - عروة - حريص على مرضاة ربه، ويحمده على أن هداه لدينه[٦٢]:

بذلك أوصاني أبي، وأبو أبي ... بذلك أوصاه، فلست أُقَصِّر

حَمِدْتُ إلهي إذ هداني لدينه ... فلله أسعى ما حييت وأشكر

الفخر بالبطولة الفردية:

وإذا كان هؤلاء الفرسان يعلمون أنفسهم، اعتداداً منهم بشجاعتهم وبسالتهم، فهناك آخرون كانوا يفخرون ببطولاتهم الفردية في معركة القادسية، يذكرون

مآثرهم وحسن صنيعهم في قتال الفرس، وعظيم بلائهم في الحرب، فهذا ربيعة بن مقروم الضبي يسارع إلى العدو، فلا يخشى سلاحهم الذي تسربلوا به، ولا يرهب تشابهم الذي يصبونه على المسلمين، وهو يرجو الأجر من الله ويحتسب ثواب جهاده عنده يقول[٦٣]:

فدعوا نزالَ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبهُ إذا لم أنزل

ولقد جمعتُ المالَ من جمعِ امرىءٍ ... وطلّقت نفسي عن لئيمِ المأكل

وشهدتُ معركةَ الفُيولِ وحولها ... أبناءُ فارسَ هامهم كالأعبَل

متسربلي حلَقَ الحديدِ كأنهم ... جربٌ مقارفةٌ عنيةٌ مهمل

يجدون نشاباً سريعاً مرةً ... فيه حدائد مَنْ تخالط تَقْتل

فحسبت محتسباً هنالك صابراً ... نفسي رجاء ثواب ربٍّ مُفْضل

وهذا أبو مكعب الحارث بن عمرو الأسدي يشيد بوقع ضرباتـــه فـــي الفرس، فلا أحد ينكر مضاء عزيمته، ولا ينتقص فِعاله فيهم، لأن هذا ديدنـه وطبعه، ولننه أصيل فيه، فهو لا يختال فرحاً ببطولتـــه هـــذه، ولا يخضـــع لخصمه إذا اشتدت المعركة وحمي وطيسها، فهو يســـجل بطولتـــه ويعـــتز بشجاعته، استمع إليه يقول[٦٤]:

لقـــد علـــم الكتـــائبُ غـــيرَ فخـــرٍ ... إذا قُطِـــع الكـــلامُ مـــن الجـــراح[٥]

بـــأني لا يَـــذمُّ الجيـــشُ فعلـــي ... ولا خيلـــي تُـــــذم ولا ســـــلاحي

غـــداة القادســـيةِ والـــهوا فـــــي ... تردُّ الخيـــلَ عـــن سَـــنَنِ المـــراح

فلســـنا خـــاضعينَ إذا اكفـــــهرت ... ولا فَـــرحٌ لـــدى الخَـــيْرِ المُبـــاح

أما الفارس المقدام القعقاع بن عمرو فيزهو بنفسه، فالقتال إذا اشـــتد أشتهى لنفسه من الدعة وألذ إليه من الراحة، وقراع الكتائب وجزّ الـرؤوس أحب إليه من شرب لبن اللقاح، وهو في مثل هذه المواطن يضطلع بـــالصبر ويتجلد بالثبات، فيهزم الجموع ويفلّ الجيوش، وهو يتغنى بمثل هذه المعاني قائلاً[٦٥]:

لحـــربٌ شـــمّرت بلـــوى قُدَيـــــسٍ ... أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن دعـــةِ الـــبراح

وضـــرب كتيبـــة وطعـــان أخـــرى ... ألـــذُّ إلـــيَّ مـــن لبـــــن اللِّقـــاح

وضرب كتيبـــــة وطعـــان أخـــرى ... الـــذ إلـــيَّ مـــن لبـــــن اللِّقـــاح

ويـــومٍ تذهـــــل الألبـــابُ فيـــــه ... أقمـــتُ علـــى نوائبـــه البطـــــاح

فللـــتُ جموعَـــــهُ والخَيْـــل زورٌ ... تمـــجُّ الأنـــى أو علـــقَ الجِـــراح

---

[٥] الهوافي: جمع الهافة، والهافة من النوق التي تعطس سريعاً

ويُصبِّرُ مُقنّعُ بن الحصين بن يزيد التميمي حصانه جناحاً الذي لشدة الهول وكثرة الطعن تمنى لو أنه قُتل واستراح من هذا البلاء العظيم الذي هو فيه، إلاّ أن فارسه بطل مغوار يطاعن العدو، ويفرج الكرب عن نفسه وعن حصانه الذي صبر لمّا انهلت السهام ولمعت السيوف كأنها البروق، ومنقع هذا على يقين أن النصر من عند الله وما عليه إلاّ البلاء والصبر(٦٦):

ولما رأيتُ الخيلَ زيّلَ بَيْنَها ... طِعانٌ ونُشّابٌ، صَبَرْتَ جناحا

فطاعنتُ حتى أنزلَ اللهُ نَصْرَهُ ... وودَّ جناحٌ، لو قَضَى فأراحا

كأن سيوفَ الهندِ فوقَ جبينه ... مخاريقُ برقٍ في تِهامةَ لاحا

وهذا حمال الأسدي يفخر ببطولته الفردية وبصنيعه في الفيلة يوم أعماس، وكان المسلمون قد لاقوا منها شدة وبلاء كما سيأتي تفصيل ذلك، فهو قد طعن الفيل الضخم الذي يبدو كأنه كعبة في عظم جثته وكبر حجمه، طعنه في عينه وضرب خرطومه، فارتد الفيل فزعاً يرشح بولاً، يقول حمال(٦٧):

ألا هلْ أتاها يومَ أعماسَ أنني ... أمارس آساداً لها وفُيولا

أمارسُ فيلاً مثلَ كعبةِ أبهر ... يرى دونه رجراجةٍ وخيولا

طعنتُ برمحي عَيْنَهُ فرددتهُ ... يرشحُ بَولاً خَشْيَةً وجفولا

وأضربُ خيشوماً لهُ مُتَهدلاً ... فانصاعَ مُنْجفلَ الشوَى مَغْلولا

أما عاصم بن المقشعر فهو يتمنى لو أن زوجه شهدت بلاءه في القادسية، ونظرت إقدامه وعرفت جلاده، فهو يقدم إذا أحجم الآخرون، ويكر على الفرس بسيفه المخشوب، وقد صور هذه البطولة الفردية في قوله(٦٨):

فلو شهدتني فالقوادسِ أبصرتْ ... جلادَ امرىءٍ ماضٍ إذا القومُ أحجموا

أُضاربُ بالمَخْشُوبِ حتى أفلّه ... وأطْعَنُ بالرُّمحِ المُتَّلِ، وأقدم

ونحواً من هذا قول طليحة بن خويلد الأسدي الذي استهجن اهتداء طيف محبوبته سلمى الذي ألم به قاطعاً الفلوات الواسعة والصحارى الشاسعة، وطليحة قد كلف بالجهاد وشغف بالغارات، فهو ينازل الفرس، ويقارع بمهنده العجم، ويقيم للطعن والضرب، يقول[٦٩]:

طرقتْ سُليمى أرحُلَ الركبِ أنّى اهتديتِ بسَبْسَبٍ سهبِ
أنيَ كلفتُ سُلام بعدكمُ بالغارة الشعواء والحربِ
لو كنتِ يومَ القادسيةِ إذ نازلتُهم بمهندٍ عضْبِ
أبصرتِ شدّاتي ومُنصرَفي وإقامتي للطّعنِ والضّرْبِ

وهذا عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي كتب عمر بن الخطاب إلى سعد فيه وفي طليحة بن خويلد الأسدي "إني أمددتك بألفي رجل عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد"[٧٠] وعمرو هو صاحب "الصمصامة" و"ذو النون"[٧١] قد أبلى يوم القادسية بلاء حسناً[٧٢]، وتألقت فيه بطولته تألقاً رائعاً، فهو الفارس الحامي، وهو الأسد الهصور الذي شدّ على مهران فقتله، ها هو يفخر ببطولته وإقدامه، وأنه ترك مهران جيفة لجارح الطير وضواري السباع، يقول[٧٣]:

لقد علمتْ خيلُ الأعاجمِ أنني أنا الفارسُ الحامي إذا النّاسُ أحجموا*
وأني غداة القادسيةِ إذ أتوا بجمعهم ليثٌ هصُورٌ غَشَمْشَمُ
شددتُ على مهرانَ لما لقيتُه بكفي صمصامُ العقيقةِ مخدمُ
فغادرتُه يكبو لحُرّ جبينُه عليه نسورٌ واقعاتٌ وحُوّمُ

* الغشمشم: الكثير الظلم، ارادة الشدة. المخدم: القاطع الذي يبين الضربة

ورماه أحد الفرس بنشابه فوقعت في كتفه وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ منها[٧٤]، فأهتاج الأسد الهصور وحمل على خصمه فقتله وأخذ يُعمل سيفه بالفرس في قوة ونشاط وهو "جاث على ركبته قد أزبد يضرب بسيفه يميناً وشمالاً وإذا سواعد الرجال وأسوقهم حوله كأنها أكاريع الغنم"[٧٥] ويعبر عن بطولته مرتجزاً بصدق وحرارة، لما رأى رؤوس العجم تتطاير يمنة ويسرة فيصرخ قائلاً[٧٦]:

أنا أبو ثَورٍ وسيفي ذو النون أضربهم ضربَ غلامٍ مجنون
يا آل زَبيدٍ إنهم يموتون

وعروة بن زيد الخيل يفخر ببطولته الفردية، ويشهد عليها بعض القبائل العربية ممن شهدت القادسية، فهو البطل الذي يحمي الناس، وهو الذي يشدّ على الفرس ويتقدم الصفوف أسداً هصوراً صبوراً، يقول[٧٧]:

لقد علمتْ عمرو ونبهانُ أنني أنا الفارسُ الحامي إذا القوم أدْبَروا
وأني إذا كَرّوا شددتُ أمامهم كأني أخو قَصْبَاء جَهْمٌ غضنفر
صبرتُ لأهلِ القادسية مُعْلِماً ومثلي إذا لم يصبر القرنُ يصبر

وينسب هلال بن علقمة قتل رستم لنفسه، ويفخر بقتله إياه، فبموته تشتت الصفوف، وجُدع أنف الفرس ولم تقم لهم قائمة، يقول[٧٨]:

جدعتُ أنوفَ العُجمِ يوم لقيتهم برستم والجمعان في اشغل الشغل
فغضبت به رصَّ الصفوف فقوضت صفوفهم والحربُ جامحةً تغلي

وتبلغ البطولة الفردية ذروتها ويصل حب الجهاد الى غايته عند بطل من المسلمين، انتثرت امعاؤه فلم يستطع القيام فعالج ادخالها فلم تتأت له حتى أدخلها له رجل ثم زحف نحو الفرس ما يلتفت الى المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى صف فارس[٧٩]، وهو يردد[٨٠]:

أرجو بها من ربنا ثوابا قد كنتُ ممن يُحسِنُ الضِّرابا

وكان القعقاع بن عمرو الذي نعت الصديق قوة صوته وبعد أثـــره فـــي الجيش[٨١] والذي شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق، وكان لـــه فـــي قتـــال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم[٨٢] كان يفخر بنفســـه وســـرعة نجدتـــه وإجابته الصريخ يقول[٨٣]:

يَدْعُـــون قَعقاعـــاً لكـــلّ كريهـــةٍ فيجيـــبُ قعقـــاع دُعـــاءَ الـــهاتف

ولو ذهبنا نتتبع شعر الفرسان الأبطال الذين كانوا يفخـــرون ببطولاتـــهم الفردية لطال بنا الأمر، لذا نكتفي بهذا الذي سقناه ممثلاً لأدوارهم وشـجاعتهم، لنخلص إلى ضرب أخر من البطولـــة، وأعنـــي بـــه دور القبـــائل والبطـــولات الجماعية التي أخذ الشعراء يشيدون فيها بما كان لقبائلهم من أثر جلـــي فـــي سير المعركة في أيامها الأربعة.

الفخر بدور القبيلة:

هو ضرب آخر من البطولة يتجاوز فيه الشاعر الحديـــث عـــن بطولتـــه الفردية، وينأى قليلاً عن فخره الذاتي، إلى الحديث عن دور قبيلته وأثرها فـــي جهاد الفرس، ففي يوم أرماث جالت المجنبات ودارت الدائرة على بنـــي أســـد فقتل في تلك العشية منهم خمسمائة رجل، فقال عمـــرو بـــن شـــأس الأســـدي مفتخراً بقبيلته بني أسد:

لقـــد علمـــتْ بنـــو أســـدٍ بأنـــا أولـــو الأحـــلام إن ذكـــروا الحُلومـــا[*]

وإنـــا النّـــازلون بكـــلّ ثغـــرٍ ولـــو لـــم نلفـــه إلاّ هشـــيما

تـــرى فينـــا الجيـــاد مسَـــومات مـــع الأبطـــال يَعلكْـــن الشّـــكيما

بجمـــعٍ مثـــل ســـلمٍ مكفـــهر تشـــبهم إذا اجتمعـــوا قرومـــا

بمثلـــهم نلاقـــي كـــلّ هيـــجٍ إذا لاقيـــت بؤســـاً أو خصومـــا

نفينـــا فارســـاً عمـــا أرادت وكـــانت لا تُحـــاول أن تريمـــا

---

* يعلكن: يمضغن. الشكيما: لسان اللجام

فقومه بنو أسد على مقتلتهم العظيمة صمدوا أمام الفرس وأزاحوهم عن مواقعهم، وهم أبطال ميامين يحلون من الثغور أخطرها، وينزلون من المواقع أدقها، وهم أصحاب الرأي السديد والقول الفصل.

ومرة ثانية يفخر عمرو بن شأس الأسدي بقبيلته بني أسد، فقد فازوا يوم القادسية بقصب السبق كما يقولون، فحاضرهم أفضل حاضر، وغابرهم أطيب غابر - يقول[٨٤]:

ونحنُ الأولى فُزنا بأيام قادسٍ ... وفازتْ تميم حين حطُّوا العواليا[*]

متى تدع فينا ادع خِندفَ إنهم ... إذا ما دعوا أسمعت ثم الدواعيا

ولنا حاضرٌ لم يحضر النَّاسُ مثلَهُ ... وبادٍ إذ عدوا فأبرح باديا

هم منعوا يوم القوادسِ أهلَها ... وولوا بني الوكعاء تلك العواليا

ولهذا لم يكن غريباً أن اختص سعد بن أبي وقاص ثلاثة من بني أسد بتلك الأسياف الأربعة التي بعث بها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إليه، فقد دعا سعد إليه حمال بن مالك والرفيل بن عمرو بن ربيعة وطليحة بن خويلد الفقعسي وكلهم من بني أسد وعاصم بن عمرو التميمي فأعطاهم الأسياف[٨٥].

ويعود مرة ثالثة فيفخر بقومه بني أسد الذين عادت فدارت رحاهم على الفرس فطحنوا جموعهم طحناً، وهو يفاخر ببسالة عشيرته، فالهزيل منهم لقوة جنانه ومضاء عزيمته يلاقي الفارس الصنديد من العجم لا يضطرب له قلب ولا يرتاع له فؤاد، وقومه عصمة من يليهم، يقول مصوراً ذلك كله[٨٦]:

فلا وأبيك لا يَنْفَكُ فينا ... من السادات حظٌّ ما بقينا

ألسنا المانحين لدى قُدَيْسٍ ... جموعَ الفرس مرداةً طحُونا

ولنا مثلُ مَنْ لا طوقَ فيه ... ولكن غثُّنا يلقي سمينا

---

* الوكعاء: الحمقاء

ونحـــن اذا يريـــح الليـــلُ أمـــــراً يهمُّ النَّـــاسَ عصمـــةُ مـــن يلينـــا
ومرقصـــــةٍ منعناهـــــا اذا مـــــا رأت دون المُحَافظـــة اليقينـــــا
نذكرهـــا إذا ولِـــهتْ بنيـــــها ونحميـــها إذا نحمـــي بنينـــا
إذا ثـــارَ الغُبـــــارُ كـــأن فيـــه إذا اصطفـت عجاجتـه طحينـــا
وقـــد علمـــتْ بنـــو أسـدٍ بأنّـــا نُضَـــاربُ بالسُّـيوفِ إذا غشـــينا
ونحـــن فـــوارسُ الـهيجا إذا مـــا رأيـــت الخيـــلَ ممسـدةً عزينـــا

ويسجل الرفيل بن عمرو الأسدي الذي حظي بسيف من سيوف عمـــر لشجاعته، يسجل دور قبيلته في يوم أرماث، ويذكر أنهم دافعوا عن العشائر الأخرى، وأنهم واصلوا القتال حتى أسدل الليل ستوره وحال دونـــهم ودون العدو، يقول(٨٧):

لقـــد علـــمَ الأقـــوامُ أنـــا أحقـــــهم إذا حصلـــوا بالمُرهَفـــات البواتـــــر
وما فتئـــتْ خيلـــي عشـــيةَ أرمثـــوا يذودونَ زهواً عن جميـــع العشـــائر
لدن غدوة حتى أتـــى الليـــلُ دونـــهم وقد أفلحتْ أخرى الليـــالى الغوابـــر

فالروح الجماعية تبدو جلية في قوله، فهو يذود بفرسانه منذ الصباح إلى غروب الشمس. وبالروح نفسها، روح الفخر بالقبيلة ودورها في الدفاع عمن يليها من القبائل، نجد عاصم بن عمرو التميمـــي، يقـــول مـــبرزاً دور قومه بني تميم وما كان لهم من فضل الثبات يوم أرمـــاث ممـــا حـــال دون الهزيمة والوقوع في الضلال(٨٨):

ولـــــولا ذَبُّنـــــا عمـــــن يلينـــــا للـــجَّ الجمـــعُ فـــي فعـــلِ الضَّـــلال
حمينـــا يـــوم أرمـــــاثَ حمانـــــا وبعـــضُ القـــوم أولـــى بالحمـــــال

وإذا كان الرفيل بن عمرو قد فخر بأن حصة قومه كانت ثلاثة أرباع السيوف التي بعث بها عمر بن الخطاب الى سعد كما أسلفنا، فإن القعقاع بن عمرو فخر بأن حصة قومه من الخيل التي بعث بها كانت كاملة، فقد خصهم سعد بالأفراس الأربع، فدعا إليه كلاً من: القعقاع بن عمرو ونعيم بن عمرو بن عتاب اليربوعي وعتاب بن نعيم بن عتاب اليربوعي وعمرو بن شبيب بن زنباع اليربوعي فحملهم على الافراس، وما ذاك إلاّ لشجاعتهم وأن رماحهم كانت تنهال على القوم بغزارة، يقول[٨٩]:

لم تعرف الخيلُ العرابُ سوانا ... عشيةَ أغواثٍ بجنب القَوادس

عشيةَ رحنا بالرّماح كأنها ... على القوم أمثالُ الطُيور الرّسارس

ويذكر القعقاع أن مَضْرَحِي بن يعمر كان يحضّ قومه على القتال، وأنهم كانوا يستجيبون لذلك بهز رماحهم والإقبال على عدوهم، فيمنعون الناس ويحمونهم يقول القعقاع[٩٠]:

حضّض قومي مَضْرحيٌّ بنُ يعمر ... فلله قومي حين هزوا العواليا

وما خامَ عنها يوم سارتْ جُموعنا ... لأهل قُدَيْسٍ يمنعونَ الموالِيا

فإن كنت قاتلتُ العدو فللتُهُ ... فإني لألقى في الحروبِ الدَّواهيا

ويذكر قيس بن هبيرة بن هلال البجلي الملقب بالمكشوح قدومه من اليمن إلى الشام وانصرافه منها بعد شهر قاصداً القادسية على صهوات جيادهم بفروسية وشجاعة، يقول[٩١]:

جلبتُ الخَيْلَ من صنعاء تَردْى ... بكلِّ مدججٍ كاللَّيثِ سام

إلى وادي القُرى فديارِ كلبٍ ... إلى اليرموكِ فالبلدِ الشآمي

وجئنا القادسيةَ بعد شهرٍ ... مسومةٍ دوابرُها دوامي

فناهضنا هناكَ جُموعَ كسرى ... وأبناءَ المرازبةِ الكرام

إنها مسيرة طويلة شاقة، فقد سار من اليمن إلى الحجاز مصعداً صوب الشام ثم انثنى بعد اليرموك إلى القادسية، فقد جاب أطراف البلاد ما كلَّ ولا هنت قواته.

أما عمرو بن معد يكرب فيصور قومه كالمردة من الشياطين، يهزون بأسلحتهم فيضربون الطغاة والبغاة من الفرس، ويمضون في الجهاد شرقاً طلباً لطاعة الرحمن ورضاه، لا يجزعون ولا يفزعون، يقول عمرو[١٢]:

والقادسية حين زاحم رستم ... كنّا الحُماةَ بهن كالأشطان

الضاربينَ بكل أبيضَ مِخْدمٍ ... والطاعنينَ مجامعَ الأضغان

قومٌ ضربوا الجبناء إذ بغوا ... بالمشرفية من بني ساسان

ومضى ربيع بالجنودِ مشرقاً ... ينوي الجهادَ وطاعةَ الرحمن

ويبدو ان النخع شاركت في القادسية بأعداد كبيرة من أبنائها، فقد رُوي أنه كان معهم سبعمائة امرأة فارغة تزوجهن المهاجرون[١٣]، فذكر شاعرهم قطن بن صخر بن هبيرة النخعي أن قومه بنوا سامقاً من المجد لا يطاوله أحد ولا يُدانيه بشر وذلك لبلائهم في القادسية وصبرهم فيها يقولُ[١٤]:

بنى كعبٌ شاهقاً فوقَ شاهق ... من المجدِ ما لا تَستطاعُ مطالبه

فنحن صبرنا بالقوادس نَبْتَغي ... بذلك مجداً لا تروع ركائبه

أما شاعرهم الآخر الأسود بن قيس أبو الهيثم النخعي فلا يرى جزاء ما قدمه من بلاء وجلاد، وصبر وجهاد إلاّ أن يحلهم قصور كسرى، وينزلهم دوره وبروجه، فهم الجديرون بها، استمع إليه يقول[١٥]:

ذكـرت عشـيرةً فيـها قضـــاءٌ وأحـــلامٌ إذا أبلـــي وخَـــيْر.

فبلـغ مذْحجـاً عنـي رســـولاً فخفـوا عـن بلادكـمُ فسـيروا

فـإني قـد رضيـتُ لكـم محـــلاً بـه حـلَّ الخورنـقُ والســـدير

وقـودوا كـل ســـلهبةٍ عَنـــودٍ مواشـــكة إذا لمـــع البشـــير

ويفخر معبد بن جعفر النخعي بصنيع قومه، ويذكر بلاءهـم، وكيـف أنهم أعملوا سيفوهم ليلة الهرير في رقاب الفرس حتى غصت الحناجر لشدة الأهوال واحتدام النزال، وكانت ليلة الهرير التي سبقت يوم الفصل ليلة جلاد وطعان وثبات ورباط، فعن أنس بن الحليس قال[٩٦]: "شهدت ليلـة الـهرير فكان صليل الحديد فيها كضرب القيون ليلتهم حتى الصباح، أُفـرغ عليـهم الصبر إفراغاً" وسميت ليلة الهرير لغمغمة الفرسان من الطرفين[٩٧] واستمر القتال ليلاً واستخدمت المشاعل[٩٨]، وكان أرطاة بن شرحبيل النخعي يقـاتل بلواء عقده له الرسول - صلى الله عليه وسلم - على قومه يوم أن جـاء وفدهم إلى الرسول مسلماً[٩٩]، يقول معبد النخعي الذي نلمس عنـده حسـاً دينياً في إرجاعه النصر الى الله[١٠٠]:

وصاحوا وأسكتنا وهـم يوعدوننـا لـهم بالخنـا والمنكـرات تبـادر

تعـودُ عليـهم مرهفـاتٌ ومنـه لـهاذمُ زرق وارداتٌ صـوادر

فلمـا تواقفنـا وطـالَ اضطرابُنـا بهنّ وغصّت بـالنفوسِ الحنـاجر

قضـى الله فينـا مـا أراد وفيـهمُ وللغالب الأعلـى مـن الله نـاصر

---

* السلهبية: الطويلة من الخيل. مواشكة: مسارعة

ويفخر الشماخ بن ضرار بمجالدة قومه الفرس بسيوفهم القواطع، يقول[١٠١]:

ويومٍ بجوّ القادسيةِ إذ سموا ... فعجتُ بقضّابٍ من الهند نافح

أجالدهمْ والحيُّ حولي كأنهم ... رجالٌ تلاقوا بينهم بالسّوافح

أما أبو بجيد نافع بن الأسود التميمي فيفخر بقومه في قصيدة طويلة، فقد قضى قضاة معدّ أن تميماً أكفاء الملوك وانداداها، وهم أهل غرّ ثابت وأرومة راسخة، وهم أجواد كرماء يطعمون الضيف سديف النوق، وهم فوارس وشجعان، وصفهم بالفروسية كما وصفهم بالكرم، وهم أشراف معدّ في الإسلام وسادتها إلى غير ذلك، وأقتصر من القصيدة على ما يبين دورهم في معركة القادسية، كقوله فيهم[١٠٢]:

إذا الرّيفُ لم ينزلْ عريفٌ بصحنه ... وإذ هو يكفيه ملوكُ الأعاجم*

فجاءت تميم في الكتائب قصرّة ... يسيرونَ صفاً كاللّيوثِ الضّراغم

على كلّ جرداء السّراة وملهب ... بعيدٍ مدى التقريب عَبْلِ القوائم

عليهم من الماذيّ زعفٌ مضاعفٌ ... له حَبَكٌ من شكّه المتلازم

فقيل لكم مجدُ الحياة فجاهدوا ... فأنتم حماةُ النّاس عند العظائم

قصفوا لأهل الشّرك ثم تكبكبوا ... فطاروا عليهم بالسّيوف الصوارم

فما برحوا يعصونهُمْ بسيوفهم ... على الهام منها والأنوفِ الرّواغم

لدن غدوة حتى تولوا تسوقهم ... رجالُ تميمٍ ذَحلُها غير نائم

إنه يفخر بقومه الذين أتوا شاكي السلاح على خيول مضمرة، بأيديهم الصوارم القاطعة، ولمّا قابلوا الأعاجم طاروا إليهم بسرعة يختطفون أرواحهم

---

* الجرداء: المتساقطة الشعر. التقريب: العدو دون الإسراع. الذحل: الثأر

ويقطعون رؤوسهم حتى أرغموا أنوفهم وأزهقوا أرواحهم فولوا مدبريـــن، فكانت تميم بصنيعها هذا حامية للناس ذائدة عنهم.

ومن جيد فخره في قومه الذين آزروه برماحـــهم وعقـروا مراكـب ملوك الفرس ولفوهم في معترك ضنك فيه شدة وضيق كما يلف الســـرادق، قوله(١٠٣):

ولو أن قومي في الحـــروب أذلـــةٌ عشيةَ كســـرى والجنـود مقيمـــةُ
لألوت بيَ العنقاءُ من رأسِ حـــالق ولكـــنَ قومـــي آزرتنـــي رماحُـــهم
ببـــابِ قُدَيْـــسٍ تبتـــهي بـــالبوائق ونحـــن عقرنـــا بـــالملوكِ ركابَـــها
عشيةَ هبُّـــوا بالرِّمـــاحِ الخوافـــق ونحن لففنا الفـــرس أيـــام قـــادسٍ
ببابِ قُدَيْسٍ عند إحـــدى الصفـــائق بمعـــتركِ ضَنْـــكٍ كلـــفِ الســـرادق

وهو لا يملّ من الثناء على قومه، وكيف يملّ ذلك وقد صبرت تميـــم على عضّ الحروب ولأواء القتال، فنالت من فارس وطرها وقضـــت منـــها حاجتها لما فعلته فيها من الأفاعيل التي شفت النفوس وأذهبـــت غيظـــها وغلّها، فقد قتلت زعيم فارس وطرحته أرضاً، فليجزها الله عن ذلـــك خـــير الجزاء، يقول(١٠٤):

جزى الله خيراً من قبيـــلٍ ونـــاصرٍ غـــداةَ قُدَيْـــسٍ والدّمـــاءُ ترقـــرق
تميماً على جَهْدِ الحروب وعضّـــها وقد جعلت فيـــها الفـــراخ تبقبـــق
قضوا وطراً من فارسٍ ثم غـــادروا أفـــاعيل لا يشـــفى بـــها متبعـــق
فمن يسمُ لا يدرك عفافـــةَ جمعنـــا إذا جعلت عـــون الحـــروب تفتـــق
هم تركـــوا ربَّ القـــوادسِ ثاويـــاً تصيـــخُ إليـــه هامُـــها المتفـــرق

ومثل هذا الفخر بدور القبيلة وبطولتها كثير في الأشعار التي وصلـت إلينا، ونلحظ إلى جانب فخر الشاعر بدور قبيلته في قتـــال الفـــرس فخـــره

بدورها في نجدة القبائل الأخرى وتفريج كربها وإزالة العدو المتكالب عليها، فهذا عاصم بن عمرو يدل بما كان لقومه من نجدة بجيلة في يوم القادسية وهو يوم الفصل بين الفريقين، وقد شابت من هوله المفارق، يقول[١٠٥]:

شابَ المفارق والأعراض فالتمعت ... من وقعة بقُدَيْس جرَّها العجم

خاب الكتائب والأوزاع وانشمرتْ ... من صكةٍ صكها ديّانها الحكم

بينا بجيلةُ قد كفت سراتهم ... سالت عليهم بأيدي الناصر العصم

سِرْنا إليهم عارض برد ... ترجى تواليه الأرواحُ والرَهم

كان العتيق لهم مثوى ومعركة ... فيها الفرائضُ والأوصالُ واللّمم

حديث الجن:

هناك أشعار كثيرة في غزات ابن حبيش وغيره تنسب إلى الجن التي أخذت تبشر المسلمين بالنصر[١٠٦]، والناظر في هذه الأشعار المنسوبة إلى الجن يلاحظ بوضوح تام ان الغرض من وضعها والغاية منها بيان دور القبائل العربية في معركة القادسية، تلك المعركة التي كانت العرب في كل بلادها تنتظرها وترى أن ثبات ملكهم وزواله بها، "وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الإنس"[١٠٧] "حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية" كما جاء عند ابن حبيش[١٠٨].

ودارس هذه الأشعار المنسوبة الى الجن يلحظ أنه ما كانت قبيلة من قبائل العرب إلاّ وترغب في أن يكون لها دور فاعل في تلك المعركة التي أسفرت عن انتصار حاسم للمسلمين وهزيمة ساحقة للفرس، فكل مقطعة منها قد ورد فيها اسم قبيلة من قبائل العرب، وأنهم سمعوا الجن يهتف بها في

أماكن سكنى تلك القبيلة، فهذه امرأة قد بدرت ليلاً على جبل بصنعاء لا يدري من هي، وهي تقول[١٠٩]:

حُيِّيت عنّا عكرمَ ابنة خالدٍ وما خيرُ زادٍ بالقليلِ المُصَرَّد

وحيتك عني الشمس عند طلوعها وحيّاك عنّي كلُّ ناج معرّد

وحيتك عني عُصبَةٌ حنفيةٌ حسانُ الوجوه آمنوا بمحمّد

أقاموا لكسرى يضربون جنوده بكل رقيق الشفرتين مهنّد

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغني بأشعار فيها ذكر لبني تميم وبيان لدورهم في معركة القادسية[١١٠]، وكذلك سمع أهل البحرين راكباً يغني شعراً فيه ذكر لبكر بن وائل[١١١] ومثله سمع أهل المدينة[١١٢] وأهل مكة[١١٣] وأهل الطائف[١١٤] وأهل نجران[١١٥] وأهل عُمان[١١٦] فما من مكان من أرض جزيرة العرب إلا وسمع أهله مجتازاً يغني شعراً يذكر فيه أمر القادسية وأهمية دور قبيلتهم.

ولا أرى إلاّ أن هذا كان من وضع القصاص الذين أخذوا يسردون الأحداث التاريخية يزينونها بالأشعار في فترة متأخرة، إلى جانب ما كان لأبناء القبائل خاصة تلك التي لم يكن لها كبير دور في المعركة أو لم تشارك فيها اصلاً.

وثيقة تاريخية:

إذا كان الفرسان من الشعراء يفخرون ببطولاتهم كما أسلفنا، فكثيراً ما نلاحظ أنهم كانوا يذكرون أسماء من قتلوهم من الفرس في أشعارهم، وكذلك أسماء أيام القادسية مثل أغواث وأرماث وعماس[١١٧]، وهذا يُعطي الشعر قيمة تاريخية، فهذا عمرو بن معد يكرب يفخر بقتله يوم القادسية مهران أحد قادة العجم، فقد علاه عمرو بالصمصامة فتركه يخر على جبينه ليكون طعاماً للسباع والنسور، يقول[١١٨]:

وإنـــي غـــداةَ القادســيةِ إذ أتـــوا بجمعهمُ ليـــثٌ هصـــورٌ غشمشـــم
شددت علـــى مـــهران لمـــا لقيتـــه بكفـــيَ صمصـــامُ العقيقـــةِ مخـــدم
فغادرتـــه يكبـــو لحُـــسرِ جبينـــه عليـــه نســـورٌ واقعـــاتٌ وحـــوَّم

وأما طليحة الأسدي فقد قتل الجالينوس أحد عظمـــاء قـــادة رســـتم، وارتجز عندما طعنه فقتله قائلاً[١١٩]:

أنا ضربـــتُ الجـــالينوس ضربـــةً حين جيـــادُ الخيـــل وســـط الكبَّـــه*

ونازعه في هذا الأمر - قتل الجالينوس - زهرة بن جُوية الذي ذكـــر في شعره أن الجالينوس كان قد فرّ فتبعه وقتله وسلبه، وقال في ذلك[١٢٠]:

تبعنا جيوشَ الجالينوس وقـــد رأى بعينيه أمـــراً ذا إيـــاس مُنكَّـــرا **
لحقنا به يرمي الكرانيـــفَ ســـادراً ويعجبُ إذ خلّى الجمـــوعَ وشـــمّرا
فوليتُـــه لمـــا التقينـــا مصممـــاً أراه الحسامُ الموتَ أحمـــرَ أصفـــرا

وهذا القعقاع بن عمرو الذي وصل صبيحة يـــوم أغـــواث يبـــارز ذا الحاجب بهمن جاذويه ويصرعه، ويتغنى مرتجزاً[١٢١]:

هلـــم يـــا ذا الحـــاجبِ المشـــنوق إن كنـــتَ ذا هَـــمٍّ بـــأمر الضيـــق
ألحمتـــهُ كاللّـــهب المفتـــوق فمـــال مَيْـــلَ الجمـــل المحنـــوق

وقد وهم عمرو بن معد يكرب لمّا حمل على مرزبان وهو يـــرى أنـــه رستم فقتله وأنشد مسروراً في ذلك[١٢٢]:

قـــد علمـــتْ ســـلمى وجاراتُـــها مـــا قطّـــرَ الفـــارسَ إلاّ أنـــا

---

* الكبة: الثقل

** الكرانيف: أصول الكرب تبقى في الجذع بعد قطع السعف. أراد أنه يتخفف من سلاحه بطرحه .

شـــككتُ بـــالرُّمحِ حيازيمـــــه والخيـــل تعـــدو زيمـــــاً بيننـــا

أما رستم فقد تنازع قتله أكثر من واحد من الفرسان، وكل منهم يدعي أنه قاتله فزهير بن عبد شمس بن عوف البجلي يزعم ذلـك وأنـه ضربـه بالسيف فشطره لما في ذلك من إرضاء للرب وشفاء للنفس، يقول(١٢٣):

أنـــا زهـــيرٌ وابـــنُ عبـــد شـــمس أرديتُ بالســـيف عظيـــمَ الفـــرس

رســـتم ذا النخـــــوةِ والدّمقـــــس أطعـــت ربـــي وشـــفيت نفســـــي

وكذلك هلال بن علقمة يرى أنه هو قاتل رستم وأنه بقتله فـض رصّ صفوف الفرس فتفرقوا وكانت الهزيمة لهم بعد مقتل قائدهم(١٢٤)، ونـــازع عمرو بن شأس الأسدي في مقتل رستم وجعله في قبيلته بني أسد وأن قاتله هو طليحة الأسدي، فقال في ذلك(١٢٥):

قتلنـــا رســـتماً وبينـــــه قَسْـــراً تُثـــيرُ الخيـــلُ فوقـــــهمُ الـــــهيالا

وأياً كان الأمر فقد قتلوا رستم لما فر الى النهر ولا ريب أن اكثر مـن واحد أعمل سيفه فيه لما نشلوه من الماء.

أسلحة المعركة:

وهم في أشعارهم يذكرون أسلحتهم ويصفونها ويتحدثون عنها، فمنها الخيل الضامرة السريعة والسيوف القاطعـة والرمـاح المثقفـة والـدروع السابغة إلى غير ذلك. ولن أتوقف عند هذا فهو من المعروف والمشهور في المعارك وطالما ذكره الشعراء وبينوا أثره ودوره، وتحدثوا عـن أنواعـه وضروبه، ولكن السلاح الذي لم يسبق للعرب أن شـاهدوه فـي معاركـهم وأفزعهم أول الأمر واحتاروا في شأنه، وكيف يمكن التغلـب عليـه، ذلـك السلاح الجديد الذي استخدمه العجم في المعركة وأعني به الفيل.

ولقد تضاربت المصادر التاريخية في ذكر عدد الفيلة التي جاء بها الفرس إلى الحرب، فقد ذكر الجاحظ في الحيوان أن رستم لقي المسلمين يوم القادسية ومعه مئة وعشرون فيلاً[١٢٦]، وعند الحافظ الذهبي كان معه سبعون فيلاً[١٢٧] وكذلك هي عند ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح[١٢٨]، أما الطبري ومن أخذ عنه فهي عنده ثلاثة وثلاثون فيلاً[١٢٩]، وأياً ما كان عددها فقد لقي العرب منها يوم أرماث شراً مستطيراً[١٣٠] إلى أن أسروا بعض العجم فسألهم زهرة بن جؤية، " أما لهذه الدابة من مقتل؟ فقالوا: بلى خرطومه"[١٣١]، فأخذوا يضربون خراطيمها بسيوفهم ويفقأون عيونها برماحهم، وفي يوم أغواث برقعوا إبلهم وجللوها بالجلود "فلقي أهل فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث"[١٣٢]، فكيف كانت صورتها ـ الفيلة ـ في الشعر؟

هذا القعقاع بن عمرو في يوم عماس يسمل عيون هذه الفيلة التي يراها أسوداً مغيرة عليهم لا ترعوي ولا ترتدع، يقول[١٣٣]:

فإن كنت قاتلت العدو بنيةً ... فإني لألقى في الحروب الدّواهيا

فيولاً أراها كاللّيوث مغيرةً ... أسَمّلُ أعياناً لها ومآقيا

وهي كما يصورها حمال الأسدي، فيول ضخمة كالبناء المربع الضخم ـ الكعبة ـ تترجرج في مشيتها، وتحيط بها الخيول، إلاّ أن حمالاً لا يرهبها فهو يطعنها بالرمح في عيونها، ويضربها بالسيف على خراطيمها، فترتد مفزوعة مذعورة، يرشح منها البول والدم لعنف الضربات وقوة الطعنات، يقول[١٣٤]:

ألا هل أتاها يومَ أعماسَ أنني ... أمارس آساداً لها وفُيولا

أمارسُ فيلاً مثلَ كعبة أبهر ... يرى دونه رجراجة وخيولا

طعنتُ برمحي عينَهُ فرددتُهُ ... يرشحُ بَولاً خشية وجفولا

وأضربُ خيشوماً له متهدلاً ... فانصاعَ منجفلَ الشّوى مغلولا

لقد انصاع الفيل لضربات هذا الفارس البطل، فقد كانت ضربات موجعة انجفل إثرها وعاد مغلولاً إلى الوراء، لا طاقة له على احتمالها بعد أن سُملت عيناه وقطع خيشومه.

ولا يختلف صنيع الربيل بن عمرو مع الفيلة عن صنيع صاحبه، فهو قد قطع مشفره بسيفه "ذي الحبات" وطعنه بالرمح في عينه، فتقهقر راجعاً يقول الربيل[١٣٥]:

لما رأيتُ الفيلَ أقبل نَحونا قطعتُ بذي الحبَاتِ مِشْفَره عمدا

طعنتُ برمحي عَيْنَهُ فتركتُهُ يقهقهرُ لما أن غضبت به جهدا

أما عاصم بن عمرو التميمي فيضرب أوضان الفيلة وأخرمتها، فتسقط عنها أحلاسها وما عليها من التوابي التي كان العجم يتخذونها لحمايتهم وهم يقاتلون العرب من فوق ظهورها، يقول[١٣٦]:

ولما أن تزايل مَقْرفُوهم عَصَيْنا القومَ بالأسَلِ النَّهال*

وعرَيتُ الفيولَ من التوابي وعطلتُ الخيولَ من الرِّحال

فقد كان للفيلة دور عظيم في معركة القادسية حتى سمّاها ربيعة بن مفروم الضبي معركة الفيول في قوله[١٣٧]:

وشهدتُ معركةَ الفيولِ وحولَها أبناءُ فارسَ بيْضُهم كالأعبل

ميرة الجيش وأرزاقه:

ولم يغفل الشعر عن رصد ميرة الجيش وتسجيل طرائق جلب أرزاقه، فقد كانت السرايا تسري لجلب اللحوم والأسماك وغيرها مما يحتاج اليه الجند، ويسمون أيامهم بها، فمن أيام اللحم يوم الأباقر ويوم الحيتان،[١٣٨] ففي يوم الأباقر بعث سعد بن أبي وقاص سرية على رأسها عاصم بن عمرو في طلب

الميرة للجيش، فعادوا بعد أن استاقوا ثيراناً وأبقاراً كثيرة، فسمي ذلك اليوم بيوم الأباقر، فقال عاصم بن عمرو[١٣٩]:

وما دلّ قوماً قبلنـــا ثَـوْرُ حجـرةٍ ودونَ الذي يخشـى أبـاةٌ وسـامر
فلم أر يوماً كـــان أهنـى غنيمـةً وأعجـبَ منـه والدُّهـورُ عبـائر

أما في يوم الحيتان، فقد أغار سواد بن مالك التميمي في جماعة فاستاق ثلاثمئة دابة ما بين بغل وحمار وثور فأوقروها سمكاً وجاءوا بها الجيش، فقال في ذلك أمية بن زرارة بن حبيب[١٤٠]:

وأرغـدَ أهلـــهَ عمـــداً ســـواد بُعَيْـدَ الطَّعـنِ والضَـربَ المنيـــم
وأطعـمَ لحـمَ ســـاهرةٍ وبحـــرٍ ومـا قـاموا بـــه لـــهم مقيـــم

وأغار مالك بن ربيعة بن خالد التميمي في جماعة على الفيوم فأصـابوا إبلاً لبني تغلب والنمر فشلوها ومن فيها، وغدوا على سعد فنحرت الإبـل فـي الناس ووزعت لحومها عليهم، فقال مالك بن ربيعة[١٤١]:

نحـن شـللناها بجنـــب الطّـــف حتـى خلطنـاهم بـــهدم الجـــف
نلحمهم فعل الأسودَ الجُقْـف

وكذلك يفخر أبو بجيد نافع بن الأسود التميمـي بأنـهم كـانوا يقـرون الجيوش ويقومون على أرزاقها[١٤٢]:

وقَرينَـا خَـيْرَ الجيـوشِ شـتاء ورَبيعـاً محمـلاً وعَريضـا

إقبال على الشهادة ورثاء الشهداء:

كان المسلمون يقدمون على قتـال عدوهـم ببسـالة وشـجاعة، وهـم يستعجلون الشهادة ويتعرضون لها، فقد أسلفنا الحديث عن ذلك الذي اندلقـت أمعاؤه فأعادها له آخر ومضى زاحفاً نحو العدو[١٤٣]، ومما يستظرف في هـذا أن رجلاً من بني تميم "ممن كان يحمي العشيرة"[١٤٤] يقال لـه سـوّاد كـان

يتعرض للشهادة ويدعو الله أن يمّن عليه بها ويخلصه من زوجه السوداء القبيحة، وأن يبدله بها حورية جميلة يستمتع بها في الجنة، يقول سوّاد(١٤٥):

إن جُديـة سـوداء بَذيّـه فـأبدلني بـها حـوراء عشـيه

وأخر يعقر مطيته كيلا تسول له نفسه الهرب أو يتسرب إليه الجبن، فإذا ما عقر مطيته وترجل كان عليه أن يلازم القتال ويبقى ثابتاً في أرض المعركة لا يريم فلا يكون فراره مدعاة للعار والشنار، يقول(١٤٦):

ومـا عُقِـرت بالسَّـيْلَحينَ مَطيَّتـي وبـالقصر إلاّ خيفـةً أن أُعـيّرا

وأخر قد أجهد ناقته في القادسية لكثرة ما أعملها وتصرف عليها، فأعيت الناقة وذلت فعراها، فخال أن العواذل يلمنه على ذلك ظناً منهن أنه ما صنع ذلك إلاّ ليستجم وتستجم ناقته وخلوداً للراحة وطلباً لها، فيدفع ذلك عن نفسه ناشئاً عنها التقصير في السير إلى العدو(١٤٧):

زعـمَ العـواذلُ أن ناقـةَ جُنْـدُبٍ بجنـوبِ خَبْـتٍ عُرّيـتْ وأُجمـت

كذبَ العَـواذلُ لـو رأيـن مُنَاخَنـا بالقادسـيةِ، قُلْـنَ: لـجَّ وذلّـت

وهم في مواقفهم هذه يُصبرون أنفسهم على القتال، ويحرضون أنفسهم وغيرهم على الثبات بأشعارهم وأرجازهم، فهذا أحدُ عشرة أخوة من بني كاهل بن أسد يُقال لهم بنو حرب يشجع إخوته على الصبر والثبات، وتحمل فراق الموت واحتسابه، فيخاطب أخاً له يقال له غفاق، فيقول(١٤٨):

أنا ابن حـربٍ ومعـي مخـراق أضربهم بصـارمٍ رقـراقِ*

إذ كـره المـوت أبـو اسـحق وجاشت النفسُ عن التراق

صـبراً عفاقُ إنه الفراق

---

* المخراق: السيف

وهم في إقبالهم على الشهادة وحبهم في الأجر والثواب، كان الواحد منهم اذا ما أصيب حنّ إلى دياره وتذكر مرابع أهله، فقد كانت بين موضع الوقعة وبين حصن العذيب نخلة، فإذا أصيب الواحد منهم وحُمل وهو جريح فيه تمييز وعقل نظر الى تلك النخلة، فيقول لصاحبه: "قد قربت من السوداء، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة"[١٤٩] فيدعو لها بالسقايا والسلامة على ما فيه من ألم وجراحات، وهو من خلال مخاطبته ودعائه لها يظهر مدى تعلقه بمظاهر بيئته وحبه لوطنه[١٥٠]، فهذا بجير من طيء يرجع وهو يجود بنفسه تحت تلك النخلة قائلاً[١٥١]:

ألا يا اسلمي يا نخلةً بين قادس وبين العُذَيْب لا يجاورك النَّخْل

ألا يا اسلمي يا نخلةً فوق جرْعة تجاورك الجمانُ والرّمث والرَغْل

وهذا ربعي من بني تيم الله، قد أُريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه فلا يمنعه ما هو فيه من الحنين والشوق، بل يشعله ويحرقه، فيخاطب تلك النخلة بقوله داعياً لها بالسقيا[١٥٢]، وكذلك نجد أخرين ما ان تقع أنظارهم على تلك النخلة وهم مثخنون بالجراحات، يعانون من آلامها إلاّ ويطلبون إلى حامليهم أن يريحوهم تحت ظلها، ويخاطبونها داعين لها بالبقاء والسقايا كما يخاطبون من يعقل[١٥٣].

على أن الشعر اذا كان قد صور حب الإقبال على الشهادة والإقدام على القتال فإنه لم يغفل عن تصوير تلك المحاولات التي كانت تقوم بها الزوجة مثلاً كي تصد زوجها عن الجهاد أو أن تحول بينه وبين الخروج للقتال ضناً منها به على الموت، وإشفاقاً منها عليه، فهذه زوج النابغة الجعدي تبكي بحرقة وغزارة علها تؤثر على عاطفة زوجها فيستجيب لها فلا يخرج للقتال، ولكنه لا يرى من الخروج بدّاً، فما هو بالأعرج والأعمى ولا غير ذلك من أصحاب

الأعذار، فهذا أمر الله وفرضه، وهو خارج لا محاله تلبية لنداء ربه، فـــإن رجع إليها فهذا فضل من الله وإن كانت الأخرى، فلا ضير عليها أن تبتغـــي بدله زوجاً أخر، يقول[١٥٤]:

بـــاتت تُذكّرنـــي بـــــالله قـــــاعدةً والدَّمعُ يَنْهلُ من شـــأنيهما سـبلا

يا بنتَ عمي كتـــابُ الله أخرجنـــي كُرْهاً، وهل أمنعـــنَّ الله مـــا فعـــلا

فإن رجعتُ فربُّ النَّـــاس يُرْجعُنـــي وإن لحقـــتُ بربـــي فـــابتغي بـــدلا

ما كنت أعرَج أو أعمـــى فيعذرنـــي أو ضارعاً من ضنىً لم يستطع حـولا

وهذا ذريح بن الحارث بن ربيعة التغلبي وكان شيخاً كبيراً قد حـــاول أن يمنع ولده الحباب من الخروج للقتال، فهو شيخ هرم بحاجة إلـــى مـــن يرعاه وهو يخشى على ولده الموت والهلاك، إلاّ أن حباباً يمضي في سـبيله ولا يستجيب لصوت الأبوة الحانية، فلما مضى لغايته شقا خروجـــه علـــى والده وجزع لفراقه وأنشد في ذلك أبياتاً يستعطفه ويأمل عودته، فلما بلغـت أبياته ولده الحباب، أجابه قائلاً[١٥٥]:

ألا مَـــنْ مبلـــغٌ عنـــي ذُريحـــاً فـــإن الله بعـــدك قـــد دعـــاني

فـــإن تســـأل فـــإني مســـتقيدٌ وإنَّ الخَيْـــلَ قـــد عرفـــتْ مكـــاني

ولم ينس الشعر الشهداء الذين سقطوا في ميدان المعركة، فقد بكـاهم أصحابهم وحزنوا لقتلهم وتألموا لفقدهم، وكانت ذكراهم تحزّ في نفوســـهم، فهذا

عمرو بن شأس الأسدي يتذكر أولئك الذين طحنتهم الحـــرب بثقالـــها عشية يوم أرماث فعادوا خيالاً بعد أن طوتهم يد الردى، يقول[١٥٦]:

ودارتْ رحى الملحاءِ فيها عليـــهمُ فعادوا خَيالاً لم يُطيقوا لها ثقـــلا(*)

عشـــيةَ أرمـــاثٍ ونحـــن نذودهـــم ذيادَ الهوافي عن مشـــارِبها عُكـــلا

ويدعو عاصم بن عمرو التميمي الله أن يجزل لهم الثواب، ويجزيـــهم الجنة التي كانوا يوعدون، وأن ينزلهم منها الفردوس الأعلى، يقول(١٥٧):

جزى الله أقوامـــاً بجنـــبِ مُشَـــرّقٍ غداةَ دعا الرحمن من كـــان داعيـــا

جناناً من الفردوسِ والمنزلِ الـــذي يحلُّ به ذو الخير من كـــان باقيـــا

وكان سعد بن أبي وقاص أمر جماعة أن تدفن الشهداء في (مشـــرق) وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس، أما القعقاع بن عمرو فهو يدعـــو بالسقيا لقبر خالد بن يعمر التميمي الذي استشهد في القادسية، فقـــد كـــان بطلاً مغواراً يحرض الناس على الجهاد، مرابطاً صابراً، لم يـــتزحزح مـــن موقعه، ولم يتراجع أمام عدوه، يقول القعقاع(١٥٨):

سقى الله يا حوضاء قبرَ ابن يعمـــر إذا ارتحـــل السّـــفار لـــم يـــترحل

سقى الله أرضاً حلّـــها قـــبرُ خـــالد ذِهـــابُ عـــوادٍ مُدْجنـــاتٍ تجلْجـــل

وكان الحباب بن الشيخ ذريح الذي تحدثنا عنه فيما تقدم قد استشـــهد في المعركة فقال أبوه يرثيه لما بلغه الخبر(١٥٩):

أبغي الحُبابَ فـــي الجيـــادِ ولا أرى لـــه شَـــبَهاً مـــا دامَ لله ســـاجد

وكان الحُبـــابُ كالشّـــهابِ حياتُـــه وكـــل شـــهابٍ لا محالـــة خـــامد

حقاً إن الشيخ ليبحث عن ابنه ويتحرق شوقاً لرؤيته، ولا يـــرى أحـــداً يدانيه في الوجود أو يساويه، فهو كالشهاب في السماء، ويُجمِلُ الشـــيخ فـــي تعزية نفسه واحتساب ولده، فإن كان الحباب شهاباً فلا ريب أن كل شهاب إلـــى

---

* الهافة من النوق: التي تعطس سريعاً. العكل: الإبل وضم قواصيها.

خمود. واستشهد يوم القادسية عدد من الصحابة منهم سعد بن عبيد[١٦٠] وعمرو بن عثمان[١٦١] وعبدالله بن[١٦٢] أم مكتوم الذي كان يقاتل يومها وعليه درع له حصينة،[١٦٣] وسعد بن عبيد القاري[١٦٤] وأرطأة كعب وغيرهم كثير كثير. إلاّ أن الشعر الذي قيل في رثاء شهداء القادسية باهت قليل لا يرتقي الى مستوى الحدث، ولا شك أن القسم الأكبر منه قد ضاع كما ضاع كثير من شعر تلك الحقبة من الزمن.

تباشير النصر:

لم تكن ليلة القادسية من الليالي الحنادس[١٦٥]، فقد انبلجت عن نصر مؤزر للمسلمين فأخذوا يتصايحون من كل مكان، ويرتجزون من كل ناحية، وانطلقت حناجر الشعراء والرجاز وكل منهم يفخر بما كان لقبيلته أو قومه من دور في القتال وما كان له من بطولة وإقدام في النزال، وكان أول ما سمع سعد في تلك الليلة مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يصرخ بأعلى صوته[١٦٦]:

نحن قتلنا معشراً وزائدا أربعةً وخمسةً وواحدا
تحسب فوقَ البلدِ الأساودا حتى إذ ماتوا دعوتُ شاهدا
الله ربي واحتردت جاهداً

تلاه صوت مذعور بن عدي[١٦٧]:

نحن صدمناهم بحيّ وائل حتى فَلجْنَا غير قيل القائل

ثم سمع صوت أكتل بن شماخ[١٦٨]:

نحن دفعناهم بركني رعل بجمع تيمٍ وجموع عُكْل

فكانت تلك الليلة حقاً كما قال الكلح الضبي[١٦٩]:

يـــا ليلـــة صانلـــــة القـــــوادس ليســـت مـــن الليـــالي الحنـــــادس

لقد انتصر المسلمون في القادسية و"هربت الفرس مـــن ديرقـــرة إلى المدائن يريدون نهاوند فأتبعهم سعد الطلب"[١٧٠].

استياء من القائد وسخط لتوزيع الغنائم:

نلحظ أن بعض الشعراء لم يرضوا من سعد عدم مشاركته فـــي القتـــال، فانعكس صدى هذا في أشعارهم، وكان سعد فوق القصر قد ولّى أمـــر القتـــال الصحابي خالد بن عُرفطة يرمي إليه بالرقاع فيها أمره ونهيه، ولم يستطع سعد القتال لعرق النسا ودمامل وقروح قد منعته من الجلـــوس والركـــوب، فكـــان منبطحاً على وجهه، يشرف على المعركة وفي صدره وسادة[١٧١]، فقال رجـــل من المسلمين ينسبه إلى الجبن[١٧٢]:

ألـــم تـــر أن الله أنـــزلَ نَصْـــرَهُ وســـعدٌ ببـــاب القادســـية مُعْصـــم

فأُبنـــا وقـــد أمـــتْ نســـاءٌ كثـــيرةٌ ونسوةُ ســـعدٍ لَيْـــسَ فيـــهنَّ أيِّـــم

وقال جرير بن عبدالله البجلي يتندر به فمسه ونال منه[١٧٣]:

أنـــا جريـــرٌ كنيتـــي أبـــو عمـــرو قد نصر الله وســـعدٌ فـــي القصـــر

فلما بلغ سعداً آذاه وآلمه، فخرج إلى الناس واعتذر إليهم وأراهم ما بـــه من القروح والدمامل والجراحات في فخذيه وإليتيه وقال مجيباً جريراً[١٧٤]:

ومـــا أرجـــو بجيلـــةَ غـــيرَ أنـــي أؤمِّـــلُ أجرهـــم يـــومَ الحســـاب*

فقـــد لقيـــتْ خيولـــــهمُ خيـــــولاً وقد وقع الفـــوارسُ فـــي ضِـــراب

وقـــد دلفـــتْ لعرصتِـــهم فيـــــولٌ كـــأن زُهاءهـــــا إبـــلٌ جِـــرَاب

---

* العرصة: ساحة الدار. زهاؤها: ألوانها

ولما أخذ سعد يوزع الغنائم ويعطي الناس على "قدر ما معهم من القرآن"[١٧٥] سأل عمرو بن معد يكرب ما معه من القرآن، فقال: ما معي شيء، قال: "إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن[١٧٦]، فقال عمرو ساخطاً ومعلناً عن غضبه وعدم رضاه مذكراً ببطولته وشجاعته[١٧٧]:

إذا قُتِلنا ولا يبكي لنا أحدٌ ... قالت قريشٌ ألا تلك المقادير

ونحن بالصف إذ تُدمى حواجبنا ... نعطى السوية مما يخلص الكير

نعطى السوية من طعن له نفذٌ ... ولا سوية إذ تُعطى الدنانير

وأخذ عمرو يعرض بقريش قبيلة سعد ويعلن تذمره وسخطه، ويصرح أن ما عيضه من قتل سعد هو خوفه من الله وخشيته منه ولا شيء غير ذلك، وإلا لعلاه بسيفه ومزقه بالصمصامة، وانعكس صدى هذا في قوله[١٧٨]:

كانت قُريشٌ تحملُ الخمرَ مرةً ... تجاراً فأضحتْ تحملُ السّمَ منقعا

أيوعدوني سعدٌ وفي الكفِّ صارمٌ ... سيمنعُ منيَ أن أذلَّ وأخضعا

فوالله لولا الله لا شيءَ غيره ... لَجَلَّلْتُه الصمصامَ أو يتقطعا

وأنّى لعمرو أن يقبل مثل هذا التهديد وهو الذي كان يقاتل جاثياً "على ركبتيه قد أزبد يضرب بسيفه يميناً وشمالاً وإذا سواعد الرجال وأسوقهم حوله كأنها أكاريع الغنم... وكان إهابه قد خُرّق فعصب بالعمائم وعاد إلى القتال كأنه لم يصنع شيئاً"[١٧٩]، ويبدو أن سعداً آلَ ألاّ يعطي عمراً إلاّ كما كتب إليه أمير المؤمنين من إعطاء الناس على قدر ما معهم من القرآن، فأخذ صدر عمرو يغلي وإن كان يقر بإمارة سعد إلاّ أنه يراه قد بغى وجار، وتجاوز وظلم، وأخذ يفخر بصنيعه يوم القادسية، وبغشيانه العدو مستميتاً مستبسلاً، ويعجب من سعد ومن موقفه، واشتد اعتراضه على توزيع الغنائم[١٨٠] إلى أن قال[١٨١]:

أمِـنْ ليلـى تسـرّى بعـدَ هـــدءٍ خيالٌ هـاجَ فـي القلـب ادّكـارا

يذكّرنـــي الشـــبابَ وأمَّ عمـــروٍ وشـامات المرابـعِ والديـــارا

وحيّاً من بنـــي صَعْـصَعِ بـن سَـعْدٍ سقوا الأرصـادَ والدّيـمَ الغـزارا

ألا أبلـغْ أميـرَ القـومِ سـعداً فقـد كذبـت أليّتـهُ وجـارا

وحـرّق نابَـــه ظلمـــاً وجـــهلاً علـيّ فقـد أتـى ذمّـاً وعـارا

هُبِلْـتَ لقـد نَسـيتَ جـلادَ عمـروٍ وأنـتَ كخـامعٍ تَلـجُ الوجـارا

أُطـاعِنُ دونـكَ الأعـداءَ شَـزْراً وأغشى البيضَ والأسلَ الحـرارا

ببـابِ القادسـيةَ مسـتميتاً كليـثِ أريكـةٍ يـأبى الفـرارا

أكـرُّ عليـهُمُ مـهري وأحمـي إذا كرهـوا الحقـائق والذّمـارا

وتبلغ الحدة به غايتها، وتصل الحمية أوجها، فيصرخ في وجه أميره سعد طالباً من الله أن ينصفه منه، بل أن يذيقه الزقوم ويدخله النار:

جـزاكَ الله فـي جنبـي عقوقـاً وبعـد المـوتِ زقومـاً ونـارا

ونجد مثل هذا الاعتراض عند شاعر آخر كان لـه دوره فـي المعركـة وهو بشر بن ربيعة الذي أعلن سخطه لتوزيع الغنائم في حملة القرآن وإن كان عطاء كل من حضر القادسية لا يقل عن ألف وخمسمائة، جاء في طبقات ابـن سعد قوله[١٨٢]: "ما وطىء أحد القادسية إلا عطاؤه ألفـان أو خمـس عشـرة مائة". إلا أن بشراً أخف حدة وألين لفظاً، فهو يذكر سعداً ـ داعياً له بالهداية ـ بأيامه في القادسية، تلك الأيام التي كان فيها بشر ينافح بقوة ويدافع ببسالة في الوقت الذي كان الآخرون لوجلهم وفزعـهم يتمنـون ان لـهم جنـاح طـائر

فيفرون من المعركة سراعاً، وهو - بشر - يدلف للكتائب ويعمل فيها سيفه ورمحه وهو خبير بالحروب مجَرب في الوقائع، يقول(١٨٣):

وحلت بباب القادسية ناقتي ... وسعدُ بنُ وقاصٍ عليَّ أمير
وسعدٌ أميرٌ شره دونَ خيره ... كثيرُ الشَّذى كابي الزنَاد قصير
تَذكرْ هداكَ الله وقعَ سيوفنا ... بباب قُدَيسٍ والمكرُّ ضَرير
عشيةَ ودَّ القومُ لو أن بَغضَهم ... يُعَارُ جناحي طائرٍ فَيطير
إذا بَرزتْ منهمْ إلينا كتيبةٌ ... أتونا بأخرى كالجبال تَمُور
ترى القومَ فيها واجمينَ كأنهم ... جمالٌ بأحمالٍ لهن زَفِير
فضاربتهم حتى تفرقَ جَمْعُهم ... وطاعنتُ إنِّي بالطِّعان مَهير
وعمرو أبو ثورٍ شهيدٌ وهاشمٌ ... وقيسٌ ونعمانُ الفتى وجرير

ألا تكفي شهادة هؤلاء الذين ذكرهم ومنهم عمرو بن معدي كرب - لإثبات شجاعته وبطولته، ويبدو أن سعداً استشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمرهم فكان أن جاءه الرد "أعطهم على بلائهم، فأعطى كل واحد ألفي درهم"(١٨٤).

وبهذا يكون الشعر قد عكس صورة واضحة لمعركة القادسية كواحدة من أبرز معارك الفتح في صدر الإسلام إن لم تكن أبرزها على الإطلاق، فلم تغفل أعين الشعراء حدثاً صغر أم كبر إلاّ وكانت تترصده وتترقبه، فتنطلق ألسنتهم في تصويره ووصفه وذكره. وبذا يكون الشعر قد واكب المعركة من بدايتها مروراً بميدانها وشجاعة فرسانها وبطولة مقاتليها ومبارزة المبارزين وإقدام المجاهدين وانتهاء بالنصر وتوزيع الغنائم واعتراض المعترضين ورفض الرافضين، وبذا يكون هذا الشعر قد قدم صورة جلية واضحة لهذه المعركة الخالدة.

الهوامش

١- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧ (٣٨١:٢)، الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير ت ٦٣٠ هـ. تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧ (٢١٩:٢)

٢- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ت ٧٤٤ هـ. دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم ود. علي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين وعلي عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت ٤٤:٤، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق عبدالمنعم المعاني. دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ (٦٦)

٣- المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ت ٧٣٢هـ، المطبعة الحسنية المصرية، الطبعة الأولى ١٥:١

٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. إبن العماد شهاب الدين أبو الفلاح ت ١٠٨٩هـ. أشرف على تحقيقه عبدالقادر الارناؤوط، حققه وعلّق عليه محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٦ (٦٦:١)

٥- فتوح البلدان، الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت ٢٧٩هـ. حققه وشرحه وعلق على حواشيه عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع. دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ (٣٦٢:٣)

٦- معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ت ٢٦٢هـ. تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠ (٣٣٦:٤)

٧- الروض المعطار في خبر الاقطار، محمد بن عبدالمنعم الحميري، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ٤٤٨.

٨- العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ. حققه أو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (١:١٥)

٩- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ. تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩، ٦:٩ الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ تقريباً. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦ (١٦٠:١)

١٠- غزوات ابن حبيش. الإمام عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش، تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٢ (١١٦:٢)، البداية والنهاية ٣٦:٧

١١- تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ١٠٩

١٢- الكامل في التاريخ ٣٠٨:٢

١٣- غزوات ابن حبيش ١٦٦:٢

١٤- تاريخ الطبري ٤٩٠:٣، الكامل في التاريخ ٤٩٥:٣ وعنده ٩٩ بدرياً.

١٥- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت ٢١٢:٤

١٦- الطبقات الكبرى ٣٥٦:٤

١٧- الطبقات الكبرى ٥٣٢:٥

١٨- الطبقات الكبرى ٢١٧:٦

١٩- الطبقات الكبرى ٢٠٢:٦

٢٠- الطبقات الكبرى ١٢٨:٤

٢١- الطبقات الكبرى ٣٧٢:٤

٢٢- الطبقات الكبرى ٧٧:٦

٢٣- الطبقات الكبرى ١٨٠:٦

٢٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ت ٢٥٥ هـ. تحقيق محمد مرسي الخولي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٨ (٣٦٢).

٢٥- البرصان ٣٦٣

٢٦- البرصان ٣٦٣

٢٧- البرصان ٧٨ (وكان جرير بن عبدالله البجلي أحد ثلاثة رجال سادوا في الجاهلية والاسلام وثانيهم سراقة بن مالك بن جشم المدلجي وثالثهم الجارود بن المعلي العبدلي).

٢٨- غزوات ابن حبيش ١٧٥:٢

٢٩- غزوات ابن حبيش ١٧٥:٢، وانظر: البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي، وهو لمطهر بن طاهر المقدسي، اعتنى بنشره كلمان هوار، طبعة باريز ١٩١٦ (١٧١:٥)، لباب الآداب، أسامة أبن منقذ ت ٥٨٤هـ. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ (١٨٠).

٣٠- تاريخ الطبري ٤٥٥:٣

٣١- الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري ت ٢٨٢هـ. تحقيق عبدالمنعم عامر. مكتبة النهضة المصرية ١١٩. الحيوان، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت ١٨١:٧، العبر في خبر من غبر ١٥:١، المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦هـ. حققه وقدم له ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٠ (٦٦٧)

٣٢- غزوات ابن حبيش ٢٠٦:٢، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ. تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢، الطبعة الأولى ١٩٩٤ (٣٢١:٢)

٣٣- غزوات ابن حبيش ١٧٥:٢

٣٤- تاريخ الطبري ٥١٠:٣

٣٦- شذرات الذهب ١٦٢:١ وفيه ٧٠ فيلاً، الحيوان ١٨١:٧ وفيه ١٢٠ فيلاً، العبر في خبر من غبر ١٥:١ وفيه ٧٠ فيلاً، الطبري وفيه ٣٠ فيلاً.

٣٧- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٢ (٥٧)

٣٨- البداية والنهاية ٤٨:٧

٣٩- معجم البلدان ٣٣١:٤

٤٠- البداية والنهاية ٤٤:٧، وانظر إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ٦٩

٤١- تاريخ الطبري ٥٣٣:٣

٤٢- غزوات ابن حبيش ١٦٩:٢

٤٣- تاريخ الطبري ٥٣٦:٣، البداية والنهاية ٤٢:٧، الكامل في التاريخ ٣١٩:٢ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦هـ. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧ (٢٠٤:٢)

٤٤- غزوات ابن حبيش ١٦٩:٢

٤٥- غزوات ابن حبيش ١٦٩:٢، تاريخ الطبري ٥٣٦:٣. مروج الذهب ٢٠٤:٢، البداية والنهاية ٤٣:٧ الكامل في التاريخ ٣١٩:٢ (باختلاف بعض الألفاظ)

٤٦- تاريخ الطبري ٥٤٦:٣، غزوات ابن حبيش ١٧٩:٢

٤٧- الإصابة ١٩:٥

٤٨- غزوات ابن حبيش ١٧٥:٢-١٧٦

٤٩- تاريخ الطبري ٥٤٨:٣، مروج الذهب ٣٢٢:٢، غزوات ابن حبيش ١٨٠:٢

٥٠- تاريخ الطبري ٥٤٦:٣ غزوات ابن حبيش ١٧٩:٢ - ١٨٠، مروج الذهب ٣٢٢:٢ (باختلاف بعض الألفاظ)

٥١- تاريخ الطبري ٥٤٦:٣، غزوات ابن حبيش ١٧٩:٢

٥٢- الاستيعاب ٧٤٦:٢

٥٣- الأغاني ٢٩٢:١٨، تاريخ الطبري ٥٤٨:٣، أسد الغابة ٢٧١:٦، الكامل في التاريخ ٣٢٤:٢، تجريد أسماء الصحابة ٢٠:٢، طبقات فحول الشعراء ٢٨٦، غزوات ابن حبيش ١٨٢:٢، مروج الذهب ٣٢٣:٢، فتوح البلدان ٣٦٣:١ (باختلاف بعض الألفاظ، ولم ترو المقطوعة كاملة في غير الأغاني) الشعر والشعراء ٣٣٦:١ البيت الأخير فقط.

٥٤- معجم الشعراء ٩٦

٥٥- تاريخ الطبري ٤١٦:٢

٥٦- تاريخ الطبري ٥٤٩:٣

٥٧- غزوات ابن حبيش ١٨٣:٢، مروج الذهب ٣٢٥:٢، تاريخ الطبري ٥٤٩:٣، الكامل في التاريخ ٣٢٥:٢ الأغاني ٢٩٣:١٨-٢٩٤ (باختلاف بعض الألفاظ وترتيب الأبيات)

٥٨- معجم الشعراء ٦١، غزوات ابن حبيش ٢٢٤:٢ وفيه منسوبة إلى ثوب بن ربيعة بن بلدة.

٥٩- فتوح البلدان ٤٤٣:١-٤٤٤، البيت الأول في الإصابة، الأغاني ١٨٤:١٧، التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبدالرحمن بن المجيد العبيدي ت ق هـ، تحقيق عبدالله الجبوري الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٨٩

٦٠- الأغاني ١٨٤:١٧

٦١- الأخبار الطوال ١٢٥

٦٢- الأخبار الطوال ١٢٥

٦٣- غزوات ابن حبيش ٢٢٤:٢

٦٤- غزوات ابن حبيش ٢٢١:٢

٦٥- غزوات ابن حبيش ٢٢١:٢

٦٦- أسد الغابة ٢٦٢:٥، الطبقات الكبرى ٦٣:٧، التذكرة السعدية ١٩٠ (بيتان منسوبان لذرع أحد بني تيم اللات)، (باختلاف بعض الألفاظ).

٦٧- غزوات ابن حبيش ١٩١:٢.

٦٨- فتوح البلدان ٣٦٤:١.

٦٩- فتوح البلدان ٣٦٥:١.

٧٠- الإصابة ١٩:٥.

٧١- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري ت ٧٦٨هـ. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار الفكر العربي ١٩٦٤ (٤٤٤)، المعارف ٢٩٦.

٧٢- الطبقات الكبرى ٣٢٨:١، الإصابة ١٨:٥، العقد الفريد أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، شرحه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ٦٥:٢.

٧٣- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرابيش، الطبعة الثانية، ١٩٨٥. مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦.

٧٤- الأغاني ٢١٦:١.

٧٥- لباب الآداب، أسامة بن منقذ ت ٥٨٤هـ. تحقيق أحمد محمد شاكر دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ (١٨٠).

٧٦- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٨٦.

٧٧- الأخبار الطوال ١٢٥.

٧٨- غزوات ابن حبيش ٢٠٣:٢.

٧٩- غزوات ابن حبيش ١٧٩:٢.

٨٠- تاريخ الطبري ٥٤٦:٣، غزوات ابن حبيش ١٧٩:٢ (باختلاف بعض الألفاظ).

٨١- الإصابة ٢٤٤:٥، أسد الغابة ٣٩٠:٤.

٨٢- الإصابة ٢٤٤:٥.

٨٣- الإصابة ٤٤٥:٥.

٨٤- شعر عمرو بن شأس الأسدي، يحيى الجبوري، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٩٧٦ (٦٤)

٨٥- شعر عمرو بن شأس الاسدي ١٠٨ وفيه بيتان. غزوات ابن حبيش ١٧٢:٢ (باختلاف بعض الألفاظ) ولم يذكر المحقق غزوات ابن حبيش في التخريج)

٨٦- غزوات ابن حبيش ١٧٧:٢ (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بعث بأربعة أسياف وأربعة خيول ليقسمها سعد بن أبي وقاص في أهل البلاء، فكان نصيب الأسديين ثلاثة أسياف ونصيب التميميين الخيول جميعها)

٨٧- غزوات ابن حبيش ١٧٣:٢

٨٨- تاريخ الطبري ٥٤٥:٣ غزوات ابن حبيش ١٧٧:٢، التذكرة السعدية ١٩٠ (باختلاف بعض الألفاظ)

٨٩- غزوات ابن حبيش ١٧٣:٢

٩٠- شعر عمرو بن شأس الأسدي ٨٠ وفيه بيتان وهي في غزوات ابن حبيش ١٧٧:٢

٩١- غزوات ابن حبيش ١٧٨:٢، البيت الأول في معجم البلدان ٢٢٥:١، تاريخ الطبري ٥٤٥:٣

٩٢- تاريخ الطبري ٥٥٧:٣، غزوات ابن حبيش ١٩١:٣

٩٣- فتوح البلدان ٣٦٤:١، الأخبار الطوال ١٢٥ (باختلاف بعض الألفاظ)

٩٤- ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٨٧

٩٥- تاريخ الطبري ٥٨١:٣

٩٦- غزوات ابن حبيش ٢١٩:٢

٩٧- غزوات ابن حبيش ٢١٩:٢

٩٨- غزوات ابن حبيش ١٩٦:٢

٩٩- غزوات ابن حبيش ١٩١:٢

١٠٠- الروض المعطار ٤٤٨

١٠١- الطبقات الكبرى ٢٦٠:١

١٠٢- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٨

١٠٣- غزوات ابن حبيش ٢:٢٢٢

١٠٤- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٣

١٠٥- غزوات ابن حبيش ٢:٢٢٢

١٠٦- غزوات ابن حبيش ٢:٢٢٤

١٠٧- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٦

١٠٨- البداية والنهاية ٧:٤٨

١٠٩- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٦

١١٠- البداية والنهاية ٧:٤٨، غزوات ابن حبيش ٢:٢١٦

١١١- البداية والنهاية ٧:٤٨، غزوات ابن حبيش ٢:٢١٦

١١٢- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٧

١١٣- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٦، مروج الذهب ٢:٣٢٨

١١٤- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٧

١١٥- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٧

١١٦- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٧

١١٧- غزوات ابن حبيش ٢:٢١٨

١١٨- انظر: مروج الذهب ٢:٣٢٢، ٣٢٥، تاريخ الطبري ٣:٥٤٩، الأغاني ١٨:٢٩٣، تاريخ الطبري ٣:٥٤٩، غزوات ابن حبيش ٢:١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٩١

١١٩- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٣٦

١٢٠- غزوات ابن حبيش ٢:٢٠٦، فتوح البلدان ١:٣٦٣

١٢١- غزوات ابن حبيش ٢:٢٠٦

١٢٢- غزوات ابن حبيش ٢:١٧٥

١٢٣- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٦٧

١٢٤- فتوح البلدان ١:٣٦٣

١٢٥- غزوات ابن حبيش ٢:٢٠٣

١٢٦- شعر عمرو بن شأس الأسدي ٨٦

١٢٧- الحيوان ١٨١:٧

١٢٨- العبر في خبر من غبر ١٥:١

١٢٩- شذرات الذهب ١٦٢:١

١٣٠- تاريخ الطبري ٥١٦:٣

١٣١- غزوات ابن حبيش ١٧٨:٢

١٣٢- الحيوان ١٩٢:٧

١٣٣- غزوات ابن حبيش ١٧٨:٢

١٣٤- تاريخ الطبري ٥٥٧:٣، غزوات ابن حبيش ١٩١:٢

١٣٥- غزوات ابن حبيش ١٩١:٢

١٣٦- غزوات ابن حبيش ١٩١:٢

١٣٧- غزوات ابن حبيش ١٧٣:٢

١٣٨- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن البوسي، حققه محمد حجي ومحمد الأخضر، معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٨١ (١٣٩:٣)، اللسان ٢٨٦:١٥، غزوات ابن حبيش ٢٢٥:٢

١٣٩- غزوات ابن حبيش ١٢٦:٢

١٤٠- غزوات ابن حبيش ١٢٥:٢. ولهذا قصة خلاصتها: أن السرية لما ذهبت في طلب الميرة والأرزاق سارت حتى أتت ميسان، فطلبوا الميرة فلم يقدروا عليها لأن القوم تحصنوا في الآجام والأفدان. فضرب عمرو إلى أن أصاب رجلاً فسأله عن بقر أو غنم فأنكر عليه وحلف أنه لا يوجد شيء من هذا، فاذا بثور يصيح (كذب والله، وها نحن اولاء) فدخل فاستاق الثيران فأتى بها العسكر وأخصبوا أياماً. وقد أقسم على صحتها مَنْ حضرها في مجلس الحجاج بن يوسف الثقفي. وانظر تاريخ الطبري ٤٩٤:٣

١٤١- غزوات ابن حبيش ١٣١:٢

١٤٢- غزوات ابن حبيش ١٣٢:٢

١٤٣- غزوات ابن حبيش ٢١٩:٢

١٤٤- الطبقات الكبرى ٣٥٦:٤

١٤٥- غزوات ابن حبيش ١٧٨:٢

١٤٦- غزوات ابن حبيش ١٧٨:٢

١٤٧- فتوح البلدان ٣٦٤:١

١٤٨- شرح ديوان الحماسة. ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ. حققه وضبط غريبه محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ٢٩٤:١ شرح حماسة أبي تمام. أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري ت ٤٧٦ هـ. تحقيق وتعليق علي المفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الاولى ١٩٩٢ (١٦٠:١)

١٤٩- تاريخ الطبري ٥٥٨:٣، غزوات ابن حبيش ١٩٣:٢

١٥٠- تاريخ الطبري ٥٥١:٣، غزوات ابن حبيش ١٨٥:٢، مروج الذهب ٣٢٦:٢

١٥١- الحور العين أبو سعيد نشوان الحميري، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٤٨ (١٣٦)

١٥٢- غزوات ابن حبيش ١٨٥:٢، تاريخ الطبري ٥٥١:٣، مروج الذهب ٣٢٦:٢

١٥٣- غزوات ابن حبيش ١٨٥:٢، تاريخ الطبري ٥٥١:٣، مروج الذهب ٣٢٦:٢ (باختلاف بعض الألفاظ)

١٥٤- غزوات ابن حبيش ١٨٥:٢، تاريخ الطبري ٥٥١:٣، مروج الذهب ٣٢٦:٢

١٥٥- شعر النابغة الجعدي، منشورات دار المكتب الإسلامي بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٦٤ (١٩٤)

١٥٦- الإصابة ١٨٢:٢

١٥٧- شعر عمرو بن شأس الأسدي ٨٨

١٥٨- غزوات ابن حبيش ١٧٤:٢

١٥٩- غزوات ابن حبيش ١٩٤:٢، تاريخ الطبري ٥٥١:٣ (باختلاف بعض الألفاظ)

١٦٠- الإصابة ١٨٢:٢

١٦١- الطبقات الكبرى ٤٥٨:٣

١٦٢- الطبقات الكبرى ١٢٨:٤

١٦٣- الطبقات الكبرى ٢١٢:٤، المعارف ٢٩٠

١٦٤- الطبقات الكبرى ٣٧٢:٤

١٦٥- الطبقات الكبرى ٥٣٢:٥

١٦٦- غزوات ابن حبيش ١٩٧:٢

١٦٧- غزوات ابن حبيش ١٩٦:٢، تاريخ الطبري ٥٦٢:٣ الكامل في التاريخ ٣٢٩:٢ (باختلاف بعض الألفاظ)

١٦٨- غزوات ابن حبيش ١٩٧:٢

١٦٩- غزوات ابن حبيش ١٩٧:٢

١٧٠- غزوات ابن حبيش ١٩٧:٢

١٧١- غزوات ابن حبيش ٢١٤:٢

١٧٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ت ٧٣٩هـ. تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢ (١٠٥٥:٣)، الطبقات الكبرى ٣٥٦:٤، الكامل في التاريخ ٣١٧:٢، البداية والنهاية ٤٤:٤، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي ت ١٠٣٠هـ. تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي مصر ١٩٨٩ (٤٠٨:٨) (باختلاف بعض الألفاظ)

١٧٣- الحور العين ٣٠٤، الكامل في التايخ ٣١٧:٢، معجم البلدان ٢٩١:٤، العقد الفريد ٤٤:١، فتوح البلدان ٣٦٤:١، تاريخ الطبري ٥٧٧:٣، البداية والنهاية ٣٦:٧، غزوات ابن حبيش ٢٦٣:٢، البدء والتاريخ ١٧٦:٥ (باختلاف بعض الألفاظ)

١٧٤- البدء والتاريخ ١٧٦:٥، تاريخ الطبري ٥٧٧:٣، البداية والنهاية ٤٦:٧، غزوات ابن حبيش ٢١٣:٢ (باختلاف بعض الألفاظ)

١٧٥- غزوات ابن حبيش ٢١٣:٢، البداية والنهاية ٤٦:٧، تاريخ الطبري ٥٧٧:٣، البدء والتاريخ ١٧٦:٥

١٧٦- العقد الفريد ٢:٦٦

١٧٧- العقد الفريد ٢:٦٦

١٧٨- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١١٦

١٧٩- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٣٨

١٨٠- لباب الآداب ١٨٠

١٨١- الأغاني ١٥:١٨٩، سرح العيون ٤٣٧، الإصابة ٦:١٧٨، العقد الفريد ٢:٦٦

١٨٢- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١١٤

١٨٣- الطبقات الكبرى ٣:٢٩٨

١٨٤- معجم البلدان ٤:٤٩٢، انظر الأغاني ١٥:١٨٩، الأخبار الطوال ١٤٤، الحور العين ١١٠، حاشية مراصد الاطلاع ٣:١٠٧٠

ثبت المصادر والمراجع

١. إتمام الوفاء في سيرة سيد الخلفاء، الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق عبد المنعم المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٢. الأخبار الطوال، أبو حنيفة، الدنيوري ت ٢٨٢هـ. تحقيق عبد المنعم عامر، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة النهضة المصرية.

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بني الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت ٦٣٠هـ تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل وأحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ. تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة، بيروت.

٥. البداية والنهاية. أبو الفداء الحافظ بني كثير الدمشقي ت ٧٤٤هـ. دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملحم ونجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين وعلي عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. البرصان والعرجان والعميان الحولان، أبو عثمان عمرو بني بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ. تحقيق محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٧. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بني جرير الطبري ت ٣١٠هـ، دار الكتب العلميسة، بيروت.

٨. التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبد الرحمن العبيدي، تحقيق عبدالله الجبوري الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
٩.حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكري فيصل، مطابع دار الكتاب العربي مصر ١٩٥٢.
١٠.الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
١١.الحور العين، أبو سعيد نشوان الحميري، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٤٨م.
١٢.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٣٠هـ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٩م.
١٣.الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.
١٤.زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن البوسي، حققه محمد محيي وحمد الأخضر، معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
١٥.سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري ت ٧٦٨هـ. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار الفكر العربي ١٩٦٤.
١٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح ت ١٠٨٩ هـ أشرف على تحقيقه عبد القادر الارناؤوط، حققه وعلق عليه محمد الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

١٧.شرح حماسة أبي تمام، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري ت ٤٧٦ هـ، تحقيق وتعليق علي المفضل، مطبوعات مركز جمعية الماجد الثقافية والتراث دبى، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
١٨.شعر ديوان الحماسة، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ حققه وضبط غريبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مجازي بالقاهرة.
١٩.شعر عمرو بن شأس الأسدي، يحيى الجبوري، مطبعة الأداب في النجف الأشرف ١٩٧٦م.
٢٠.شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، الطبعة الثانية مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٥.
٢١.شعر النابغة الجعدي، منشورات دار الكتاب الإسلامي بدمشق الطبعة الأولى ١٩٦٤م.
٢٢.الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت.
٢٣.العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي ٧٤٨هـ. حققه أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤.المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ. حققه وقدم له ثروت عكاشة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٠.
٢٥.العقد الفريد. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية.

٢٦.غزوات ابن حبيش، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٢٧.الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ تقريباً، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦.
٢٨.فتوح البلدان، الأمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت ٢٧٩هـ حققه وشرحه وعلق على حواشيه عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧م.
٢٩.الكامل في التاريخ، أبو الحسن على بن أبي الكرم ابن الأثير ت ٦٣٠هـ. تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧.
٣٠.لباب الآداب، أسامة بن منقذ ت ٥٨٤هـ. تحقيق أحمد شاكر، دار الجليل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١.
٣١.لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر.
٣٢.المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ت ٧٣٢هـ. المطبعة الحسينية المصرية الطبعة الأولى.
٣٣.مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩هـ. تحقيق وتعليق على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢.
٣٤.مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦ هـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧م.

٣٥.معجم البلدان، الأمام شهاب الدين أبو عبد الله يـــاقوت الحمـــوي البغدادي ٦٢٦هـــ. تحقيق فريد عبد العزيز الجنـــدي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
٣٦.معجم الشعراء. المرزباني، تحقيق عبد الستار أحمـــد فـــراج، دار إحياء الكتب العربي.